الانتصار

لأهل العلم والإيمان

في الرد على أهل الكذب والبهتان

رد على من اتهم الشيخ ربيعًا بالكذب

ويليها

ماذا ينقمون من الشيخ ربيع ؟!

ويليها

رفع اتهام الشيخ ربيع بأن أحكامه في الجرح والتعديل

مبنية على المبالغة والتهويل

كتبه

أبو عمر عبد الباسط المشهداني

دار الصحابة للنشر والتوزيع

المكتبة المتجددة الأثرية

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

الانتصار

لأهل العلم والإيمان في الرد على أهل الكذب والبهتان

رد على من اتهم الشيخ ربيعاً بالكذب

حقوق الطبع محفوظة

1435هـ - 2014م

الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2013 / 21576

الترقيم الدولي: 978-977-6427- 78-5

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: 00201007610099 - 00201140110099

البريد الإلكتروني: Dar_sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_sabilelmomnen@hotmail.com

المكتبة المنهجية الأثرية — العراق

جوال / 07702070161

البريد الإلكتروني: kh88m@yahoo.com

دار الصحابة للنشر والتوزيع — ليبيا

(00218)0924240350 – (00218) 0917408470

البريد الإلكتروني: daralshaba@yahoo.com

الانتصار

لأهل العلم والإيمان في الرد على أهل الكذب والبهتان

رد على من اتهم الشيخ ربيعاً بالكذب

ويليها

ماذا ينقمون من الشيخ ربيع

ويليها

دفع اتهام الشيخ ربيع بأن أحكامه في الجرح والتعديل مبنية على المبالغة والتهويل

كتبه

أبو عمر عبد الباسط المشهداني

حفظه الله تعالى

دار سبيل المؤمنين للنشر والتوزيع

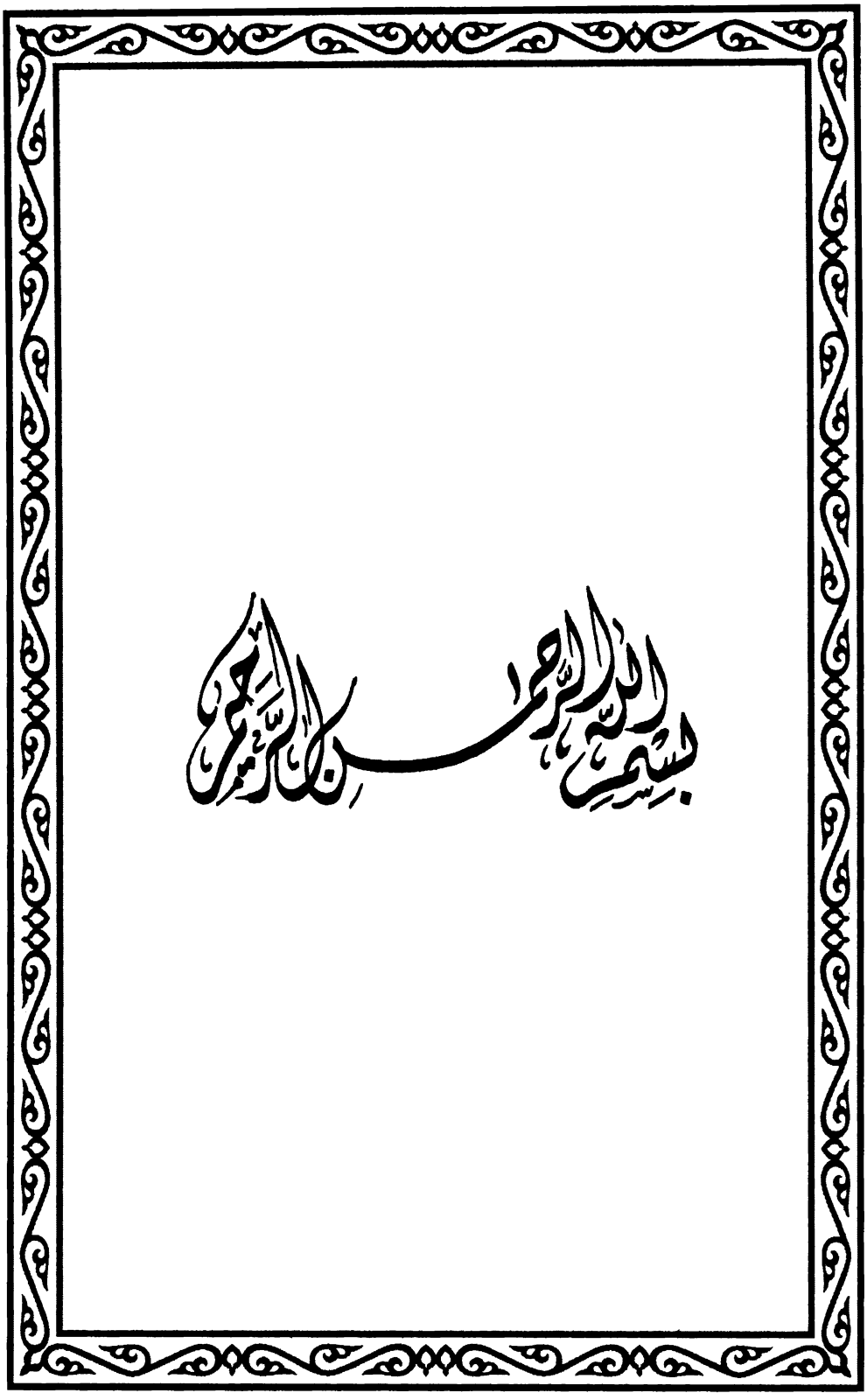
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين:

وبعد:

فلا يزال أهل الباطل يحاربون المنهج السلفي عن طريق المحاربة وإعلان العداوة لعلماء هذا المنهج العظيم، لأن العلماء هم القائمون على نصرة هذا المنهج والدفاع عنه والرد على من خالفه، ببيان شبهاتهم والرد عليها وبيان عوارها وهذا هو الواجب على أهل الحق في الدفاع عن دين الله تعالى.

قال ابن أبي العز الحنفي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في مقدمته لشرح العقيدة الطحاوية:

«فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة ودفع الشبه الواردة عليها، وكثر الكلام والشغب، وسبب ذلك إصغاؤهم إلى شبه المبطلين، وخوضهم في الكلام المذموم الذي عابه السلف، ونهوا عن النظر فيه والاشتغال به والإصغاء إليه؛ امتثالاً لأمر ربهم حيث قال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨] فإن معنى الآية يشملهم».

وهذا ما قام به علماؤنا في هذه الفتن التي أثارها أهل الباطل حيث إنهم بينوا وأوضحوا الأدلة الصحيحة الدالة على المنهج الحق الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأئمة السلف، وجاهدوا في الرد على شبهات أهل الباطل والتحذير منها ومن أهلها، نصحًا لعباد الله، وهذا عين ما قام به شيخنا الشيخ ربيع في الدفاع عن السنة النبوية المطهرة حيث إنه نصر السنة نصرًا كبيرًا، ورد باطل أهل البدع من القطبيين والمليباريين والمأربيين ومن سار على منهجهم

ممن انحرف عن منهج أهل السنة والجماعة متأثرًا برؤوس البدع ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وإن مما يؤسف أشد الأسف أن يتطاول بعض الناس بجهلهم وعنادهم علىٰ الشيخ ربيع ويصفه كذبًا وزورًا بأسوء الأوصاف، ومن هؤلاء ما كتبه عماد أبو العباس في مقاله الأخير والذي بعنوان:«هل وصل الحالُ بالشيخ المدخلي،- إلىٰ الكذب علىٰ عباد الله -في أفضل أيام الله!-؟! أم ماذا؟!». مدافعا عن شيخه الحلبي مجانبًا الإنصاف والعدل وبعيدًا عن الصدق والحياء.

فأحببت أن أدافع عن شيخنا ووالدنا الشيخ ربيع حفظه الله لكن بالعدل والإنصاف، وأبين ما وقع فيه الكاتب من الغلط والخطأ والانحراف عن المنهج الحق، وسأذكر بعض الأمور قبل البدأ بالرد فأقول وبالله أستعين:

الأمر الأول: الشيخ ربيع يذكر الإنسان بأئمة علماء السلف.

إن من رأىٰ الشيخ ربيعًا حفظه الله تعالىٰ وكان قد قرأ سيرة أئمة السلف وعرف سلوكهم وأحوالهم جزم يقينًا أنه واحد منهم، وذلك لشدة الشبه بينه وبينهم في عبادته وتقواه ونصحه لعباد الله وتواضعه لأبنائه من طلاب العلم وكرمه وحسن سمته وشدة ملازمته للتعبد من قراءة القرآن والأذكار التي لا تفارق لسانه مما سأذكره علىٰ وجه التفصيل، وما ذكرت ذلك إلا من باب الدفاع عن الشيخ ربيع مما شاهدته بعيني وسمعته بأذني خلال الأيام السابقة التي تشرفت فيها بلقاء شيخنا ووالدنا الشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ وبارك في علمه وعمره، ومن ذلك ما يأتي:

أ- تأثره بالقرآن العظيم:

كان من عادة الشيخ ربيع - حفظه الله تعالىٰ - في شهر رمضان المبارك لهذا

العام أن يجلس في مكتبته وبين أبنائه من طلبة العلم يوميًّا بعد العصر وإلىٰ المغرب يُقرأ عليه القران ثم يُقرأ عليه شيء من تفسير الحافظ ابن كثير ثم يعلق تعليقات نفيسة لا يستغني عنها أي طالب علم، وفي هذه الجلسات المباركة رأيت من الشيخ شدة تأثره بالقرآن العظيم فكنا نسمع ونرىٰ هذا التأثر واضحًا جليًّا علىٰ وجه الشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ، وكان كثيرًا ما ينصح الطلاب بملازمة القرآن العظيم قراءة وتدبرًا وفهمًا وعملًا،ليتحقق للعبد الإيمان الصادق والعمل الصالح.

ب- ملازمته للأذكار والتعبد:

وهذا ما شاهدته بعيني وسمعته بأذني فكنت كثيرًا ما أصحبه للمسجد وأسمع استغفاره وتسبيحه، وكان كثيرًا ما يقول:«سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» في سيارته وعند نزوله للمسجد وعند خروجه من المسجد للبيت وهكذا، وكان لا يرضىٰ أن يمسكه أحد من يده اليمنىٰ لأنه يسبح بها وهذا رأيته بعيني، وكان يكثر قول:«اللهم أسألك الثبات علىٰ السنة»، فجزاه الله خيرًا وبارك فيه، فوالله رأيت عجبًا خلال هذه الأيام القليلة مع كثرة بركتها وانتفاعي من الشيخ فيها.

ج- نصحه لعباد الله:

ورأيت من الشيخ موقفين دالين علىٰ نصحه لجميع الناس وذلك لمحبته الخير لجميع الناس وهذان الموقفان هما:

أولهما: كنت بجنبه يومًا ونحن خارجون من المسجد إلىٰ السيارة وأنا كنت أمسك بيده فرأىٰ رجلًا يصلي ولم يتخذ سترة فقال: لو اتخذت سترة يا عبد الله.

ثانيهما: صلىٰ أحد الأخوة بجنبه في صلاة المغرب فلما خرجنا جميعًا وكان هذا الأخ معنا في سيارة الشيخ ربيع فقال له الشيخ: لماذا اقتربت من السترة كثيرًا ولم تترك مجالًا بينك وبين السترة، فقال له الأخ: كم المسافة التي ينبغي أن تكون بيني وبين السترة فقال الشيخ: ممر شاة هذا ما كان عليه النبي ﷺ.

فقلت في نفسي حينها سبحان الله كم الشيخ ناصحًا محبًّا الخير للجميع في زمن ندر أن تجد من يحب النصح والخير لجميع المسلمين.

وكذلك فإن الشيخ نصحني نصيحة بديعة وذلك في آخر لقاء لي معه قبل سفري بيوم واحد، اشتملت نصيحته - حفظه الله تعالىٰ - علىٰ الأمر بتقوىٰ الله العظيم، ولزوم السنة النبوية والدفاع عنها، والالتزام في ذلك ظاهرًا وباطنًا، وكذلك نصحني حفظه الله تعالىٰ أن أحرص علىٰ النصح لجميع الناس وخاصة أهل السنة والجماعة وأن أحرص كذلك علىٰ جمع كلمة السلفيين وذلك بالاجتماع علىٰ منهج السلف الصالح.

د- تواضعه حفظه الله تعالىٰ:

ورأيت من تواضع الشيخ عجبًا فكان شديد التواضع لا يرضىٰ أن يعظمه أحد بل كان يعلم الناس ألا يعظموا غير الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

وكان - حفظه الله - لا يرضىٰ أن يقوم له أحد وإذا قام له أحد نهاه عن ذلك وبان أثر عدم الرضىٰ في وجهه حفظه الله تعالىٰ، وكان ينهىٰ الطلاب أن يقوموا له عند حضوره للدرس أو عند خروجه.

وكان إذا أراد أن ينام علىٰ سريره لأنه لا يقوىٰ علىٰ الجلوس طويلًا استأذن من الحاضرين وبين أنه لا يقوىٰ علىٰ الجلوس أسأل الله أن يعافيه وأن يمد في عمره.

وذكر له أحد المشايخ الفضلاء أن في إحدىٰ مقالاته خطأ، فقال له الشيخ ارجع إلىٰ النسخة الخطية فإن كانت مثل ما تقول: فقل أخطأ الشيخ ربيع.

.وهذا من شدة تواضعه - حفظه الله تعالىٰ - وهو عزيز في هذا الزمان.

هـ- كرمه حفظه الله تعالىٰ:

أما كرمه فحدث ولا حرج فهو كريم يحب أن يكرم ضيوفه بيده مع مرضه وكبر سنه، وكان يقدم الإفطار للطلاب في بيته وكان يكثر وقتها من قوله: حيىٰ الله الجميع، أو حياكم الله جميعًا، وكان يؤتىٰ للشيخ بعض الطعام له لأنه لا يستطيع أن يأكل أي طعام لمرضه عافاه الله تعالىٰ، فكان لا يأكل حتىٰ يقسم الأكل علىٰ من عنده ويبقي لنفسه شيئًا قليلًا، إلىٰ غير ذلك فجزاه الله عنا خير الجزاء.

و- زهده حفظه الله تعالىٰ:

ووالله رأيت الشيخ زاهدًا في مطعمه وملبسه وفي سائر أموره، كان يفطر علىٰ لقيمات بسيطة جدًّا من التمر والماء وشيء من العصير وهكذا، وكان يأكل شيئًا قليلًا، ثم يهتم بالحاضرين عنده ويرحب بهم. وكان حفظه الله تعالىٰ زاهدًا في ملبسه، فكل من رأىٰ الشيخ رأىٰ الزهد عليه واضحًا جليًّا.

إلىٰ غير ذلك مما رأيته من الشيخ فكان حفظه الله مدرسة تربوية علمية منهجية سلفية لا ينكرها إلا مكابر أو جاهل والله المستعان.

أما علمه وعقيدته فليس مثلي من يتكلم في هذا الموضوع، فقد زكاه وأثنىٰ عليه أجلة علماء زمانه كالشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الألباني والشيخ ابن عثيمين والشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي رحمهم الله جميعًا.

الأمر الثاني: إن الذي يرد علىٰ الشيخ ربيع إنما يرد عليه بالكذب والجهل والافتراء لا يردون عليه بعلم، وإنما العلم معه كما قال الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ، وهذا هو الواقع المشاهد من أحوال الذين يردون علىٰ الشيخ ربيع بدأً من المأربي ومن سار علىٰ نهجه.

قال الشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - «في شريط بدعة الموازنات»:

وباختصار أقول: إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبداً، والعلم معه، وإن كنت أقول دائماً وقلت هذا الكلام له هاتفيًّا أكثر من مرة أنه لو يتلطف في أسلوبه يكون أنفع للجمهور من الناس سواءً كانوا معه أو عليه، أما من حيث العلم فليس هناك مجال لنقد الرجل إطلاقاً، إلا ما أشرت إليه آنفاً من شيء من الشدة في الأسلوب، أما أنه لا يوازن فهذا كلام هزيل جدًّا لا يقوله إلا أحد رجلين: إما رجل جاهل فينبغي أن يتعلم، وإلا رجل مغرض، وهذا لا سبيل لنا عليه إلا أن ندعو الله له أن يهديه سواء الصراط».

وقال - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

«نحن بلا شك نحمد الله -عز وجل- أن سخر لهذه الدعوة الصالحة القائمة علىٰ الكتاب والسنة علىٰ منهج السلف الصالح، دعاة عديدين في مختلف البلاد الإسلامية يقومون بالفرض الكفائي الذي قَلَّ من يقوم به في العالم الإسلامي اليوم؛ فالحط علىٰ هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلىٰ الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفىٰ علىٰ الجميع إنما يصدر من

أحد رجلين: إما من جاهل أو صاحب هوىٰ.

الجاهل يمكن هدايته؛ لأنه يظن أنه علىٰ شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدىٰ.. أما صاحب الهوىٰ فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله - تبارك وتعالىٰ - فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين - كما ذكرنا - إما جاهل فيُعلّم، وإما صاحب هوىٰ فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره».

الأمر الثالث: ثبت في علم مصطلح الحديث وقواعد الأئمة أن من استفاضت عدالته واشتهرت ثقته فلا يقبل فيه جرح إلا بالأدلة الصحيحة الواضحة البينة، ولا يكفي في ذلك مجرد الادعاء ولا الجرح المجمل ولا غير ذلك.

قال الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لا يقبل الجرح في حق من استفاضت عدالته واشتهرت إمامته، ولذلك لا يلتفت إلىٰ كلام ابن أبي ذئب في الإمام مالك، ولا إلىٰ كلام النسائي في أحمد بن صالح المصري؛ لأن هؤلاء أئمة مشهورون صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي علىٰ نقله».

وقد صح عن ابن معين أنه يتكلم في الإمام الشافعي، ولذلك قال الحافظ الذهبي: «قد آذىٰ ابن معين نفسه بذلك ولم يلتفت الناس إلىٰ كلامه في الشافعي ولا إلىٰ كلامه في جماعة من الأثبات، كما لم يلتفتوا إلىٰ توثيقه لبعض الناس، فإنا نقبل قوله دائمًا في الجرح والتعديل ونقدمه علىٰ كثير من الحفاظ ما لم يخالف الجمهور في اجتهاده، فإذا انفرد بتوثيق من لينه الجمهور، أو بتضعيف

من وثقه الجمهور وقبلوه فالحكم لعموم أقوال الأئمة لا لمن شذ...».

وفي مقابل ذلك لا يؤخذ بتوثيق إمام لراوٍ اتفق الأئمة علىٰ تركه ولذلك أعرضوا عن توثيق الإمام الشافعي لإبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ الأسلمي مولاهم«ضوابط الجرح والتعديل صفحة ٣٧ – ٣٨».

والشيخ ربيع إمام استفاضت عدالته واشتهرت ثقته وعرف علمه الأعداء قبل الأصدقاء، فمن تكلم فيه فقد آذىٰ نفسه ولم يؤذِ الشيخ مطلقا ولله الحمد.

أما شهرة ثقته وعدالته فلا تخفىٰ علىٰ كل من عرف شيئًا عن المنهج السلفي أو عن أهله القائمين به.

والأن سأقف مع الكاتب بعض الوقفات التي تبين تعديه علىٰ الشيخ ربيع وتطاوله عليه بالباطل ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الوقفة الأولىٰ: لم يفتتح الكاتب مقاله بشيء من ذكر الله تعالىٰ لا بالبسملة ولا بشيء من الحمد لله والثناء عليه ولا بالصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ، وإنما بدأ كلامه بالتهجم علىٰ الشيخ ربيع، وهذا إنما يدل علىٰ بعده عن ذكر الله تعالىٰ وانشغاله بما لاينفع، فليراجع نفسه وليستغفر ربه.

والبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في المكاتبات والرسائل سنة تتابع عليها أهل العلم قديمًا وحديثًا، اقتداءً بفعل النبي ﷺ حيث إنه افتتح رسائله إلىٰ الملوك ببسم الله الرحمن الرحيم، فقد أخرج البخاري (٦٢٦٠)، ومسلم (١٧٧٣)(٧٤) في صحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة هرقل وفيه:

«قال ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه:«**بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ هرقل عظيم الروم سلام علىٰ من اتبع الهدىٰ أما بعد**

فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ٦٤]» فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده وكثر اللغط وأمر بنا فأخرجنا قال فقلت لأصحابي حين خرجنا لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه ليخافه ملك بني الأصفر قال فما زلت موقنًا بأمر رسول الله صلىٰ الله عليه و سلم أنه سيظهر حتىٰ أدخل الله عليَّ الإسلام».

وأخرج مسلم (١٧٨٤)(٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه قال:

«إن قريشًا صالحوا النبي ﷺ فيهم سهل بن عمرو فقال النبي صلىٰ الله عليه و سلم لعلي:«**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**» قال سهيل أما باسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف: باسمك اللهم، فقال«**اكتب من محمد رسول الله**» قالوا لو علمنا أنك رسول لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال النبي صلىٰ الله عليه و سلم:«**اكتب من محمد بن عبدالله**» فاشترطوا علىٰ النبي صلىٰ الله عليه و سلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال:«**نعم إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**».

والأحاديث في ذلك كثيرة جدًّا.

ولذلك لا تجد كتابًا في العلم يخلو من البسملة أو الحمد لله والثناء عليه أو غير ذلك من ذكر الله تعالىٰ، لكن خلا منها هذا المقال والله المستعان.

الوقفة الثانية: وصف الكاتب الشيخ ربيعًا بأنه يكذب علىٰ عباد الله في أفضل

أيام الله كما جاء في عنوان مقاله، فصرح في عنوان المقال باتهامه للشيخ ربيع بأنه يكذب، ولما جاء إلىٰ التفصيل في مقاله فقال: خرج علينا الشيخ المدخلي بمقال عنوانه:«الحلبي يوهم الناس أنه علىٰ منهج الجبال من أئمة الحديث ونقاد الرجال» ملأه وللأسف – بما يشبه الأكاذيب والمفتريات التي ما فتئ – غفر الله لنا وله – يروج لها بين أتباعه ومقلديه تجاه شيخنا الحلبي.

وهذا من التناقض الشديد فهو وصف عنوان المقال بالكذب وذلك لِيلفت القراء إلىٰ خطورة الموضوع، ثم لما فصَّل قال: بما يشبه الكذب، وهذا الفعل من الكذب الصريح علىٰ عباد الله في أفضل أيام الله تعالىٰ.

ثم ما معنىٰ يشبه الكذب وما يسمىٰ وما هو حده وكيف يُتعامل معه، فمن عرف شيئًا من علم الحديث عرف أن الكذب قسمان:

الأول: الكذب في حديث النبي ﷺ، وهذا ترد روايته مطلقًا حتىٰ ولو تاب عند جمهور العلماء.

الثاني: الكذب في حديث الناس وهذا ترد روايته إلا اذا تاب ورجع إلىٰ الصواب وترك الكذب.

والكاتب أضاف لنا قسمًا ثالثًا وهو: ما يشبه الكذب، وهذا والله من أعظم التعدي علىٰ منهج السلف الصالح وقواعد الأئمة من أهل الحديث.

لكن الذي يظهر لي أن الكاتب قد تغيرت عنده الأصول وهذه مصيبة والله، فصار الصدق عنده كذبًا أو ما يشبه الكذب علىٰ حد قوله، وصار الكذب صدقًا ويلزم من قوله أن يكون هناك ما يشبه الصدق أيضًا.

الوقفة الثالثة: اتهم الكاتب الشيخ ربيعًا بأنه يتظاهر بالدفاع عن منهج الأئمة

النقاد وفي مقدمتهم الإمام الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-

واستدل علىٰ ذلك بأن الشيخ ربيعًا قد ذكر بأن الإمام الذهبي متساهل، وخرج بنتيجة دالة علىٰ بعده عن العلم وعن كلام العلماء، والنتيجة هي:

بما أن الشيخ ربيعًا قد ذكر أن الإمام الذهبي متساهل، فإذًا يكون الشيخ ربيع قد تظاهر في الدفاع عن الذهبي.

ولا أدري ما وجه الملازمة بين الأمرين، لكن التقليد يعمي ويصم.

ولم ينفرد الشيخ ربيع في الحكم بتساهل الذهبي فقد سبقه لذلك الإمام الألباني رحمه الله تعالىٰ: وسأذكر بعض المواضع من قول الشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللَّهُ- وهي:

أ -قال الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة عقب حديث: «**مَن ذكر الله، ففاضت عيناه من خشية الله حتىٰ يصيب الأرض من دموعه؛ لم يعذبه الله تعالىٰ يوم القيامة**»ضعيف.

أخرجه الحاكم (٤/ ٢٦٠) عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك مرفوعاً . وقال:«صحيح الإسناد»! ووافقه الذهبي!

قلت: وهذا تساهل واضح؛ خصوصاً من الذهبي؛ فقد أورد الذهبي أبا جعفر هذا في «الضعفاء»؛ وقال: «قال أبو زرعة: يهم كثيراً . وقال أحمد: ليس بقوي . وقال مرة: صالح الحديث . وقال الفلاس: سيئ الحفظ . وقال آخر: ثقة». وقال الحافظ:«صدوق سيئ الحفظ».

قلت: فمثله لا يُحَسَّن حديثه؛ فكيف يصحح؟!. (١٠/ ١٠٨).

ب- وقال أيضًا:«وأما حديث أسامة؛ فيرويه عبدالمنعم بن نعيم: حدثنا

الجريري عن أبي عثمان النهدي عنه به».

أخرجه الطبراني في«الكبير» (٤٢٥).

قلت: وهذا إسناد ضعيف جدًّا؛ آفته ابن نعيم هذا؛ قال الحافظ:«متروك». وهذا أصح وأدق من قول الهيثمي فيه:«ضعيف»؛ فإنه ضعيف جدًّا؛ كما يدلك علىٰ ذلك قول الحافظ هذا، وهو تابع في ذلك للإمام الدارقطني . ونحوه قول النسائي:«ليس بثقة». وأشد من ذلك قول الإمام البخاري:«منكر الحديث». وكذا قال أبو حاتم.

ومما ذكرنا؛ تعلم تساهل الذهبي في قوله في:«المغني في الضعفاء والمتروكين»:«ضعفه الدارقطني وغيره»! (١١/ ٥٤٨).

ج- وقال أيضًا:«والحقيقة أن هذا الموضوع هامهم جدًّا وينبغي تصفية الروايات الضعيفة وإبعادها عن العقيدة الصحيحة، وهذا ما حاولت القيام به حينما اختصرت«العلو للعلي الغفار» أو للعلي العظيم للإمام الذهبي، فمع كون الإمام الذهبي كما تعلمون إماماً في هذا الصدد ومع ذلك تساهل في ذكر بعض الروايات، ومنها مثلاً رواية مجاهد أن الله عز وجل يُقْعِدُ معه النبي - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - علىٰ عرشه، وهذه الرواية تلقاها كثير من العلماء ممن نثق بعقيدتهم كأنه حديث مرفوع إلىٰ الرسول ﷺ، مع أنه لو قال مجاهد: قال رسول الله - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - في حديث فقهي لكان هذا الحديث مرسلاً، ولا يثبت حكماً فقهيًّا، فكيف وهو أولاً لم يرفعه إلىٰ الرسول ﷺ؟! وثانياً: هو في العقيدة وليس في الفقه ومع ذلك تلقوه علىٰ طريقة المسلمات. فالحقيقة ينبغي الاحتياط في مثل هذه القضايا»«سلسلة الهدىٰ والنور».

والأدلة على ذلك كثيرة جدًّا فهل يصف الكاتب الشيخ الألباني بما وصف به الشيخ ربيعًا، لأنه حكم على الذهبي بأنه تساهل أم ماذا، ثم إن موضوع التساهل في نقد الحديث لا علاقة له بالصدق والكذب وإنما علاقته في أحكام الناقد على الرواة والروايات، فمن عرف من حاله أن يتساهل في النقد لابد أن يحتاط في أحكامه التي يخشى منها التساهل وتساهل الذهبي من هذا الصنف وإليك البيان.

قد علم من منهج الذهبي في أحكامه على الرواة أنه قد يغفل بعض الجرح في الراوي ولا يلتفت إليه فيغلب جانب العدالة على الجرح وهذا غالبًا ما يكون في الجرح النسبي الذي تتجاذبه جوانب الجرح والتعديل وإليك بعض الأمثلة:

١ - ذكر الذهبي في الكاشف في ترجمة أبي الزبير المكي فقال:

«محمد بن مسلم بن تدرس أبو الزبير مولى حكيم بن حزام المكي عن عائشة وابن عباس وابن عمر حديثه عنهم في مسلم وعنه مالك والسفيانان حافظ ثقة قال أبو حاتم لا يحتج به توفي ١٢٨ وكان مدلسًا واسع العلم ع خ قرنه» (الكاشف ٢/ ٢١٦).

فالذهبي حكم بالثقة والحفظ لأبي الزبير المكي ولم يلتفت إلى حكم أبي حاتم له بالتدليس.

مع أن الحافظ ابن حجر في التقريب قال:

«محمد بن مسلم بن تدرس بفتح المثناة وسكون الدال المهملة وضم الراء الأسدي مولاهم أبو الزبير المكي صدوق إلا أنه يدلس من الرابعة مات سنة ست وعشرين» (التقريب ٢/ ٥٠٦).

ولذلك قال الذهبي في تذكرة الحفاظ:«وقال غير واحد هو مدلس فإذا صرح بالسماع فهو حجة» (١/ ٩٥).

٢- وذكر في ترجمة خلف بن خليفة فقال:

«خلف بن خليفة أبو أحمد الأشجعي الكوفي حدث بواسط وبغداد قيل رأىٰ عمرو بن حريث وله عن حفص بن أخي أنس ومحارب بن دثار وعنه سعيد بن منصور وقتيبة وابن عرفة صدوق عاش تسعين سنة مات ١٨١ م ٤»«الكاشف» (١/ ٣٧٤).

مع أن كثيرًا من الأئمة ذكروا أنه قد اختلط ولذلك قال ابن العجمي:

قال ابن سعد: تغير قبل موته واختلط وفي حفظي فيما أخال أني رأيت في مسند أحمد أنه قال دخلت عليه فرأيته قد اختلط فلم أسمع منه. انتهىٰ.

وقال أحمد: رأيت خلفًا وهو مفلوج وكان لا يُفهم، وقال أيضًا أتيته فلم أفهم عنه.

وقال عبد الله عن أبيه رأيت خلفًا وهو كبير فوضعه إنسان فصاح ـ يعني من الكبر ـ فقال له إنسان يا أبا أحمد حدثكم محارب بن دثار وقص الحديث فتكلم بكلام خفي فجعلت لا أفهمه فتركته (الاغتباط: ١١٤).

ولذلك قال ابن حجر في التقريب:

«خلف بن خليفة بن صاعد الأشجعي مولاهم أبو أحمد الكوفي نزل واسط ثم بغداد صدوق اختلط في الآخر وادعىٰ أنه رأىٰ عمرو بن حريث الصحابي فأنكر عليه ذلك ابن عيينة وأحمد من الثامنة مات سنة إحدىٰ وثمانين علىٰ الصحيح بخ م ٤» (١/ ١٩٤).

٣ - وذكر في ترجمة بريد بن عبد الله بن أبي بردة الأشعري فقال:

«بريد بن عبدالله بن أبي بردة، أبو بردة عن جده وعنه ابن المبارك وأبو أسامة وعده صدوق ع» (الكاشف ١/ ٢٦٥).

وقال في سير أعلام النبلاء:

«وهو صدوق، احتجا به في«الصحيحين».

وقال أبو حاتم: لا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم أيضًا: ليس بالمتين، يكتب حديثه.

وقال الفلاس: لم أسمع يحيىٰ وعبد الرحمن يحدثان عنه بشيء قط.

وقال ابن معين، والعجلي، وغيرهما: ثقة.

وقال أحمد بن حنبل: يروي مناكير، طلحة بن يحيىٰ أحب إلي منه.

وقال ابن عدي: لم أجد في حديثه ما أنكره، سوىٰ حديث: **«إذا أراد الله بأمة خيرًا، قبض نبيها»**.

ولم يرو عنه أحد أكثر من أبي أسامة، وأحاديثه عنه مستقيمة، وأرجو ألا يكون به بأس.

قلت: توفي سنة نيف وأربعين ومائة.

«وله عدة أحاديث في الصحاح» (٦/ ٢٥٣).

مع أن ابن حجر قال في التقريب:

«بريد بن عبدالله بن أبي بردة بن أبي موسىٰ الأشعري [أبو بردة] الكوفي ثقة يخطئ قليلًا من السادسة ع» (١/ ١٢١).

فأشار ابن حجر إلىٰ خطئه مع أن الذهبي لم يشر إلىٰ ذلك بل وثقه كما في

السير، وقال صدوق كما في الكاشف، وأغفل كلام الأئمة الذين أشاروا إلىٰ خطئه ومنهم الإمام أحمد وأبي حاتم والنسائي وغيرهم.

والأمثلة علىٰ ذلك كثيرة.

ولا بد من التنبيه أن وصف الناقد بالتساهل يعتمد علىٰ الأدلة الصحيحة التي تثبت تساهل العالم في أحكامه أو روايته وهذا ليس من باب الطعن في أئمة الجرح والتعديل وإنما بيان منهج الأئمة في أحكامهم علىٰ الرواة.

ولهذا وصِف كثير من الأئمة بالتساهل كالبزار والترمذي وابن حبان والعجلي وغيرهم كثير، فهل يمكن أن نحكم علىٰ من وصفهم بالتساهل بأنه يكذب علىٰ عباد الله، ما لكم كيف تحكمون؟

قال الشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «و هذا مطابق لرواية أبي يعلىٰ و أوسط الطبراني، فالاختلاف في إسناده قديم، و لعله من حفص هذا، فإنه و إن وثقه ابن حبان، فهو متساهل في التوثيق كما هو معروف» (السلسلة الصحيحة ٥/ ٤٩٥).

وقال أيضًا:«أن ابن حبان متساهل في التوثيق فإنه كثيرًا ما يوثق المجهولين حتىٰ الذين يصرح هو نفسه أنه لا يدري من هو ولا من أبوه؟ كما نقل ذلك ابن عبد الهادي في«الصارم المنكي» ومثله في التساهل الحاكم كما لا يخفىٰ علىٰ المتضلع بعلم التراجم والرجال فقولهما عند التعارض لا يقام له وزن حتىٰ ولوكان الجرح مبهمًا لم يذكر له سبب» (السلسلة الضعيفة ١/ ٨٠).

وقال أيضًا: «وأما تحسين الترمذي له فلا حجة فيه بعد قيام المانع من تحسين الحديث، والترمذي متساهل في التصحيح والتحسين، وهذا شيء لا

يخفىٰ علىٰ الشيخ - عفا الله عنا وعنه - فقد نقل هو نفسه في كلامه علىٰ حديث الأوعال الذي سبقت الإشارة إليه عن ابن دحية أنه قال: كم حسن الترمذي من أحاديث موضوعة وأسانيد واهية؟ ! وعن الذهبي أنه قال: لا يعتمد العلماء علىٰ تصحيح الترمذي (انظر ص ٣١١ من«مقالات الكوثري») (السلسلة الضعيفة ١/ ٨٥).

وقال أيضًا: «وتوثيق ابن حبان (٧ / ٥٠١) إياه مما لا يعتد به كما نبهت عليه مرارًا، وكذا تصحيح ابن خزيمة لحديثه لا يُعتد به لأنه متساهل فيه، ولذلك لم يعتمد الحافظ علىٰ توثيقهما إياه فقال في ترجمة الهجري هذا مقبول يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث، وبما أنه تفرد بهذا الحديث فهو عنده لين» (السلسلة الضعيفة ١/ ٥٨١).

والأمثلة علىٰ ذلك أكثر من أن تحصىٰ في هذا المقال، فليتق الله الكاتب فيما قاله وليرجع إلىٰ ربه تائبًا منيبًا وإلا فإن العاقبة وخيمة نسأل الله العافية.

أما إن كان وصف العالم أو الناقد أو الراوي بالتساهل أو بالتشدد تعصبًا أو تقليداً من غير أن تكون هناك أدلة صحيحة علىٰ هذه الدعوىٰ فهذا الأمر خطير للغاية، لأنه من باب الطعن في العلماء وهذا هو المحذور، وهذا هو سبيل أهل الأهواء والبدع تجاه علماء أهل السنة والجماعة، فإن من منهجهم أن يصفوا العلماء بأوصاف قبيحة أو سيئة لينفروا الناس منهم وهذا أمر مشاهد محسوس، فما من عالم قام بالدعوة إلىٰ التوحيد والسنة علىٰ منهج سلف الأئمة إلا حذر منه أهل البدع ووصفوه بأوصاف سيئة، وهذا من عداء أهل البدع للسنة وأهلها، ومن ذلك ما يفعله المنحرفون تجاه من ثبت علىٰ المنهج الحق فيصفونهم

بالغلاة زورًا وبهتانًا، نسأل الله تعالىٰ أن يحفظ علماءنا من كيد أهل البدع وأن يجعل كيدهم في نحرهم إنه نعم المولىٰ ونعم النصير.

الوقفة الرابعة: يدافع الكاتب عن شيخه الحلبي في مراده من مقاله والذي بعنوان (منهج الأئمة الجبال، والرد علىٰ المتطاولين الجهال، في باب نقد الرجال، كما في ميزان الاعتدال) ويريد أن يقول إن الحلبي وقف مع منهج الأئمة في باب الجرح المفسر، حيث إن الحلبي يؤصل لقاعدة خطيرة جدًّا ألا وهي: إن الجرح المفسر عند الأئمة الجبال لا يلزم منه إسقاط الراوي عن حد القبول، ودليله في ذلك أن كتب الضعفاء ومنها كتاب ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، ذكرت عددًا من الرواة الثقات الذين ذكرهم بعض الأئمة بنوع جرح، فدل ذلك عند الحلبي علىٰ أن الجرح المفسر لا يلزم منه إسقاط الراوي عن حد القبول وهذه مصيبة وطامة كبرىٰ عند من يفهم في علم الحديث.

وهذا الكلام فيه من أنواع الضلال الشيء الكثير ولبيانه أقول:

أولًا: كتب الضعفاء قامت لإفراد من ضعفهم الأئمة وتمييزهم عن الثقات، والعلماء تسلسلوا في التصنيف في هذا الباب فصنف البخاري كتاب الضعفاء وكذلك النسائي والدارقطني وصنف العقيلي كتابه الضعفاء الكبير، وتبعه ابن عدي فصنف كتابه: الكامل في الضعفاء، وهكذا سار الأئمة علىٰ التصنيف في هذا الباب ومن ضمن أولئك الأئمة الحافظ الذهبي صنف كتابه ميزان الاعتدال في ضعفاء الرجال، والذي يقرأ عناوين الكتب فقط من غير أن يعني نفسه بقراءة هذه الكتب يجزم بأن موضوع هذه الكتب إنما هو ذكر الرجال الذين ضعفهم الأئمة وجرحوهم بنوع جرح.

وفي مقابل هذه الكتب هناك كتب الثقات التي اختصت بإيراد الرجال الذين وثقهم الأئمة واعتبروا رواياتهم مثل كتاب الثقات لابن حبان، ومعرفة الثقات للعجلي وهكذا فهل يشك أحد بأن موضوع هذه الكتب إنما هو إفراد الثقات الذين وثقهم الأئمة، فهل يمكن لنا أن نقول إن توثيق الأئمة لا يلزم منه قبول رواية الراوي وذلك لوجود بعض الضعفاء في كتب الثقات، فنضرب بذلك قواعد الأئمة وجهودهم عرض الحائط فليتنبه فإن الأمر جِد خطير.

ثانيًا: أن أحكام الأئمة في الرواة جرحًا وتعديلًا قامت على معرفة واسعة بالرواة مع شدة الورع وملازمة التقوى وتمام الحرص على الذب عن سنة النبي ﷺ ولذلك صار هؤلاء الأئمة هم الأمناء على دين الله في الأرض.

وأحكامهم على الرواة إنما قامت على الأدلة الصحيحة الثابتة على الرواة فلا يتكلمون بهواهم ولا برأيهم المجرد، وإنما يتكلمون على حسب ما خبروه من هؤلاء الرواة ولذلك كانت غالب أحكامهم موافقة لواقع الرواة، وأما النادر الذي لا يكاد يذكر هو أن يخبر الإمام بخلاف الواقع وهذا مع قلته وندرته، يكون على حسب اطلاع الإمام على الراوي ولا يتعمد هذا الخطأ مطلقًا، لا كما يصوره الحلبي ومن تبعه على منهجه.

وعلى كل فالأدلة هي التي تقضي على صواب الإمام أو على خطئه، وبعد ظهور الأدلة يجب على من عرف الحق أن يتبعه ولا يخالفه فإن خالفه يكون متبعًا لهواه مخالفًا للحق الذي أُمر باتباعه.

وعلى هذا الأساس قعد أئمة الحديث من أهل الاصطلاح قواعد بنيت على استعمالات الأئمة وتعاملهم مع الرواة جرحًا وتعديلًا، ومن تلك القواعد

العظيمة قاعدة (تقديم الجرح المفسر علىٰ التعديل) والتي اتفق الأئمة علىٰ العمل بمضمونها، ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء المعتبرين إلىٰ زماننا هذا حتىٰ ظهر هؤلاء فبدءوا يشككون ويشغبون علىٰ هذه القواعد فاشترطوا الإجماع علىٰ قبول الجرح، ثم اشترطوا الاقتناع، ثم جاءوا ببدعة خطيرة ألا وهي فهم كلام العلماء ومقاصدهم من خلال الاستثناءات التي توجد في كلام الأئمة إلىٰ غير ذلك من المهازل في علم الحديث.

ثالثًا: أن اختلاف الأئمة في الرواة جرحًا وتعديلًا لا يؤثر في قبول الحق إن ظهر مع أحد الجانبين، لكن في الغالب يكون الحق مع الجارح لأن معه زيادة علم، ويكون المعدل لم يطلع علىٰ هذا الجرح، ولذلك أطلق الأئمة قاعدة تقديم الجرح المفسر علىٰ التعديل، كما هو بين لكل من عرف شيئًا من علم الحديث.

فعلىٰ هذا فكلام الشيخ ربيع في تصويره لكلام الحلبي دقيق جدًّا.

وأما كلام الكاتب عن شيخه فقد جانب الصواب وترك الأدلة الواضحة البينة التي تدين الحلبي، ولو تأمل الكاتب كلام الحلبي بدقة ونظر إلىٰ النتائج التي يربو إليها الحلبي لظهر له مراده جليًّا دون أي خفاء أو لبس إذا أراد أن يصل إلىٰ الحق ويتبعه ولو علىٰ حساب تخطئة شيخه الحلبي.

الوقفة الخامسة: واعترض الكاتب علىٰ الشيخ ربيع في اشتراط الحلبي في التبديع بالإجماع فقال:

«ومن دعاوىٰ الشيخ المدخلي علىٰ شيخنا الحلبي -والتي هي الأكاذيب- قوله: (ومن حربه لمنهج السلف أنه يرىٰ أنه لا يصح تبديع أحد إلا إذا تم

الإجماع علىٰ تبديعه) .

الجواب: يقول الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «من كذَّب أهل الصدق فهو الكاذب».

فالشيخ ربيع صادق فيما نسبه إلىٰ الحلبي من اشتراط الإجماع بقبول التبديع وذلك أنه نقل كلامه بالحرف من شريط الحلبي قاله باختياره وبصوته فدفع هذا عن الحلبي من الكذب .

وأيضًا ما قاله الحلبي في كتابه منهج السلف الصالح بعد أن ساق كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية مفاد الأقوال أن أهل السنة والجماعة لا يُلزمون الناس إلا بما ألزمهم الله ورسوله، ولا يُوجبون علىٰ الناس إلا ما أوجبه الله ورسوله عليهم، ولا يحظرون علىٰ الناس إلا ما حرمه الله ورسوله عليهم، وأن هذا من منهج أهل السنة والجماعة، بخلاف أهل البدع حيث إنه من شعارهم أنهم يلزمون الناس بما أحدثوه من أصناف البدع والمحدثات ويكرهون الناس عليها كما فعلت الخوارج وكما فعلت المعتزلة مع إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ.

ثم قال: «وهذه النصوص جميعًا تدل بما لا ريب فيه علىٰ أن (الإلزام) لا يجوز ألبتة سواء أكان ذلك في:

أ- الأقوال المحدثة.

أو:

ب- المسائل الاجتهادية.

وخلاف ذلك جهل، أو غلو، أو تشغيب»! (منهج السلف الصالح ط٢،

صفحة ٢١٦).

ومن تلك المسائل الاجتهادية مسائل الجرح والتعديل ومنها مسائل التبديع فعلىٰ هذا لا إلزام بقول الأئمة في الجرح والتعديل علىٰ قول الحلبي، ويكفي لرد قول الحلبي ما ذكره ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- في الباعث فقال:

«أما كلام هؤلاء الأئمة المنتصبين لهذا الشأن فينبغي أن يؤخذ مسلَّمًا من غير ذكر أسباب، وذلك للعلم بمعرفتهم، واطلاعهم واضطلاعهم في هذا الشأن، واتصافهم بالإنصاف والديانة والخبرة والنصح؛ لا سيّما إذا أطبقوا علىٰ تضعيف الرجل أو كونه متروكًا، أو كذابًا... أو نحو ذلك. فالمحدث الماهر لا يتخالجه في مثل هذا وقفة في موافقتهم لصدقهم وأمانتهم ونصحهم.

ولهذا يقول الشافعي في كثير من كلامه علىٰ الأحاديث: «لا يثبته أهل العلم بالحديث». ويردّه ولا يحتج به بمجرد ذلك» . [الباعث الحثيث صفحة ٧٩].

الوقفة السادسة: ذكر الكاتب أن سبب تأليف الذهبي لكتابه ميزان الاعتدال هو جمعه لأسماء من تكلم فيه سواء كان من الثقات الأثبات أو من هو دونهم ولم يستثن منه إلا الصحابة والأئمة المتبوعين.

وهذا كلام من لم يخبر كتب الضعفاء ولم يطلع عليها اطلاعًا كافيًا، أما من عنده أدنىٰ خبرة بكتب الرجال فلا يكاد يشك أن كتب الضعفاء إنما قامت علىٰ ذكر الرواة الضعفاء وتمييزهم عن الرواة الثقات، وهذا هو صلب موضوع هذه الكتب، سواء أكان هذا الضعف مطلقًا أم نسبيًّا، ولذلك قال الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ:- «وقد احتوىٰ كتابي هذا علىٰ ذكر الكذابين الوضاعين المتعمدين قاتلهم الله، وعلىٰ الكاذبين في أنهم سمعوا ولم يكونوا سمعوا، ثم علىٰ المتهمين بالوضع أو

بالتزوير، ثم علىٰ الكذابين في لهجتهم لا في الحديث النبوي، ثم علىٰ المتروكين الهلكىٰ الذين كثر خطؤهم وترك حديثهم ولم يعتمد علىٰ روايتهم، ثم علىٰ الحفاظ الذين في دينهم رقة، وفي عدالتهم وهن، ثم علىٰ المحدثين الضعفاء من قبل حفظهم، فلهم غلط وأوهام، ولم يترك حديثهم، بل يقبل ما رووه في الشواهد، والاعتبار بهم لا في الأصول والحلال والحرام، ثم علىٰ المحدثين الصادقين أو الشيوخ المستورين الذين فيهم لين ولم يبلغوا رتبة الأثبات المتقنين، ثم علىٰ خلق كثير من المجهولين ممن ينص أبو حاتم الرازي علىٰ أنه مجهول، أو يقول غيره: لا يعرف أو فيه جهالة أو يجهل، أو نحو ذلك من العبارات التي تدل علىٰ عدم شهرة الشيخ بالصدق، إذ المجهول غير محتج به، ثم علىٰ الثقات الأثبات الذين فيهم بدعة، أو الثقات الذين تكلم فيهم من لا يلتفت إلىٰ كلامه في ذلك الثقة، لكونه تعنت فيه، وخالف الجمهور من أولي النقد والتحرير، فإنا لا ندعي العصمة من السهو والخطأ في الاجتهاد في غير الانبياء» ... (ميزان الإعتدال ١/ ٣).

وقال - رَحِمَهُ اللَّهُ - في كتابه المغني في الضعفاء:

«فهذا كتاب صغير الحجم كبير القدر كثير النفع أسأل الله تعالىٰ فيه حسن النية والقصد والعفو عن السهو والتجاوز عن تجاوز الحد هذبته وقربته وبالغت في اختصاره تيسيرًا علىٰ طلبة العلم المعتنين بالحديث في معرفة الضعفاء قد احتوىٰ علىٰ ذكر الكذابين الوضاعين ثم علىٰ ذكر المتروكين الهالكين ثم علىٰ الضعفاء من المحدثين والناقلين ثم علىٰ الكثيري الوهم من الصادقين ثم علىٰ الثقات الذين فيهم شيء من اللين أو تعنت بذكر بعضهم أحد من الحافظين ثم

علىٰ خلق كثير من المجهولين ...» (صفحة ٤).

وقال ابن شاهين - رَحِمَهُ اللَّهُ:-

«كتاب أسماء الكذابين في حديث رسول الله ﷺ، والذين يضعفون في الحديث، والذين يكذبون في الرواية، والذين يركبون الأسانيد علىٰ المتون الضعيفة وهو أشد الكذب، والذين يتعدون في السماع فيحدثون عن من لم يروه قط، أو يحدثون عن من لم يروه بأكثر مما سمعوا، والذين يتهاونون بالتصريح في حضور المجالس، فيشتغل أحدهم بالحديث، ولو سئل علىٰ وجه الامتحان لما درىٰ ما يسمع. وذكر من ضعف في الحديث.

وذكرت هؤلاء في كتابي هذا علىٰ مثل ما ذكرت الثقات، ليقرب علىٰ المستفيد إدراك ما أراد من هؤلاء. ونسأل الله المعونة علىٰ ما قصدناه من ذلك» (تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين ١/ ٣٩).

وقال ابن حبان -رَحِمَهُ اللَّهُ:-

«فإن أحسن ما يدخر المرء من الخير في العقبىٰ، وأفضل ما يكتسب به الذخر في الدنيا حفظ ما يعرف به الصحيح من الآثار، ويميز بينه وبين الموضوع من الأخبار، إذ لا يتهيأ معرفة السقيم من الصحيح، ولا استخراج الدليل من الصريح، إلا بمعرفة ضعفاء المحدثين والثقات، وكيفية ما كانوا عليه من الخلاف، وأما الأئمة المرضيون، والثقات المحدِّثون فقد ذكرناهم بأنسابهم، وما يعرف من أنبائهم.

وإني ذاكر ضعفاء المحدثين وأضداد العدول «من الماضين» ممن أطلق أئمتنا عليهم القدح، وصح عندنا فيهم الجرح، وأذكر السبب الذي من أجله

جرح، والعلة التي بها قدح، ليرفض سلوك الاعوجاج بالقول بأخبارهم عند الاحتجاج، واقصد في ذلك ترك الإمعان والتطويل، وألزم الإشارة إلىٰ نفس التحصيل، وبالله أستعين علىٰ السراء في المقالة، وبه نتعوذ من الحيرة والضلال، إنه منتهىٰ رجاء المؤمنين، وأولىٰ جزاء المحسنين» (المجروحين ١/ ٤).

فهذه نصوص الأئمة الذين سبقوا الإمام الذهبي في التصنيف في الضعفاء اجتمعت كلمتهم علىٰ أنهم أرادوا بيان الضعفاء من الرجال وتمييزهم عن الرواة الثقات، ولا يشك في ذلك أحد.

أما ذكر الرواة الثقات في هذه الكتب فهو من باب تمام التصنيف حتىٰ لا يترك من ذكر فيه نوع جرح وإن لم يكن في الحقيقة مجروحًا، لكن هذا لا يمثل إلا جزءًا يسيرًا من موضوع الكتاب، وهذا في جميع الكتب التي صنفت الرجال، فكما تجد في كتب الثقات رواة ليسوا بثقات، وكما تجد في كتب المدلِّسين رواة ليسوا بمدلسين، بل حتىٰ تجد في كتب الرجال المصنفة في رجال الكتب الستة رواة ليسوا من أهلها إنما ذكروا للتمييز عن غيرهم للمشابهة في الاسم أو في الطبقة وهكذا.

فعلىٰ هذا فكلام الشيخ ربيع دقيق للغاية مبين لحقيقة منهج الذهبي في تصنيف كتابه ميزان الاعتدال، وما شغب به الكاتب علىٰ كلام الشيخ ربيع ليس له وجه لا من قريب ولا من بعيد.

ولا بد أن يتنبه إلىٰ أن الأئمة لا يلتفتون إلىٰ موضوع الإجماع والاختلاف في الجرح، وإنما قامت أحكامهم علىٰ أسباب الجرح التي ذكرها الأئمة، فهذا هو ميزانهم وعليه بنيت أحكامهم، ومن تأمل كلام ابن حبان المتقدم جزم يقينًا

بهذا الأمر، أما الحلبي ومن تبعه فيدندنون على اختلاف الأئمة في الجرح والتعديل ليتوصلوا إلى أن من اختلف الأئمة فيه فلا يلزم فيه الجرح فيبقى الأمر في سعة، وهذا هدم ونسف لقواعد المحدثين واستعمالات الأئمة وهذا ما يروم إليه أهل البدع في كل زمان ليسلموا من جرح العلماء لهم، والتحذير منهم وهكذا.

الوقفة السابعة: اعترض الكاتب على استقراء الشيخ ربيع حفظه الله تعالى للرواة الذين استقرأهم من كتاب ميزان الاعتدال، وأنا سأقف معه على كل فقرة اعترض عليها لأبين غلطه ومغالطاته الكبيرة فأقول:

أولًا: ذكر الكاتب أن الشيخ ربيعًا قد أخطأ في عدد الرواة الذين استقرأهم، فزاد راويًا على العدد الذي ذكره الشيخ حفظه الله تعالى، مع أن الأمر ليس بهذه الأهمية فإذا زاد راويًا أو نقص راويًا الأمر لا يؤثر على حقيقة الاستقراء، وهذا يذكرني بفعل الخوارج حيث كانوا يسألون عن دم البعوض وهم يقتلون المسلمين بغير حق.

مع أن الشيخ ربيعًا قد درس العدد كاملًا وخرج بنتائج صحيحة دالة على سعة علمه ودقة فهمه.

ثانيًا: أن الكاتب لما استقرأ لم يتقيد بما استقرأه الشيخ، بل زاد عليه عددًا من الرواة، والمفروض أن يتقيد بالعدد المستقرأ ليظهر صحة الاستقراء من عدمه، فالشيخ إنما استقرأ (١٠١) راويًا، وعلى حساب الكاتب المغلوط (١٠٢) راويا، والكاتب استقرأ (١٢٤) راويًا، فزاد (٢٣) راويًا على استقراء الشيخ وهذا خروج عن حد المحاكمة الصحيحة فليتنبه.

ثالثًا: ثم أتىٰ الكاتب بالعجائب التي لم يسمع بها من قبل، فأدخل نفسه في مجموعة من المغالطات التي ينكرها من له أدنىٰ معرفة بعلم الحديث وقواعد الاصطلاح، ومن جملة تلك المغالطات:

أ -أنه أخرج الراوي المجهول من جملة الجرح زاعمًا أن الجهالة توجب التوقف لا الجرح، وأن المجهول ليس مجروحًا بنفسه.

والظاهر أن الكاتب لا يعرف أدنىٰ قواعد هذا العلم، بل لا يعرف معنىٰ الجرح أصلًا وفائدته وأسبابه، ولبيان ذلك أقول:

إن معنىٰ الجرح في اصطلاح المحدثين هو:

«وصف الراوي في عدالته أوضبطه بما يقتضي تليين روايته أو تضعيفها أو ردها»(ضوابط الجرح والتعديل ١/ ٧).

وأول قادح في العدالة هو الجهالة بحال الراوي من جهة عدالته وضبطه، ولذلك أخرج العلماء بعض الأوصاف التي تخالف وصف العدالة ومن أهمها:

١ـ **المبهم**: من لم يسم اسمه.

٢ـ **مجهول العين**: من لم يرو عنه غير واحد ولم يوثق.

٣ـ **مجهول الحال**: من روىٰ عنه راويان فأكثر ولم يوثق.

وذلك لعدم معرفة أحوالهم في العدالة والضبط.

فهل يمكن إن يقال أن الحكم بالجهالة لا يسمىٰ جرحًا، بل هو من أشد أنواع الجرح وذلك لتعلقه بالعدالة والضبط معًا.

ولذلك كان الأئمة يحكمون علىٰ الراوي بأنه مجهول أو أنه لا يعرف بالعلم

ونحو ذلك، يريدون جرحه ورد روايته.

ولذلك ذكر الحافظ ابن حجر أن من أسباب الطعن في الرواة هو الجهالة فقال:

«ثم الجهالة بالراوي، وهي السبب الثامن في الطعن، وسببها أمران:

أحدهما: أن الراوي قد تكثر نعوته من اسم أو كنية أو لقب أو صفة أو حرفة أو نسب، فيشتهر بشيء منها، فيذكر بغير ما اشتهر به لغرض من الأغراض، فيظن أنه آخر، فيحصل الجهل بحاله.

وصنفوا فيه؛ أي: في هذا النوع الموضح لأوهام الجمع والتفريق؛ أجاد فيه الخطيب، وسبقه إليه عبد الغني بن سعيد المصري وهو الأزدي«أيضًا» ثم الصوري.

ومن أمثلته محمد بن السائب بن بشر الكلبي؛ نسبه بعضهم إلىٰ جده، فقال: محمد بن بشر، وسماه بعضهم حماد بن السائب، وكناه بعضهم أبا النصر، وبعضهم أبا سعيد، وبعضهم أبا هشام، فصار يظن أنه جماعة، وهو واحد، ومن لا يعرف حقيقة الأمر فيه لا يعرف شيئًا من ذلك.

والأمر الثاني: أن الراوي قد يكون مقلًا من الحديث، فلا يكثر الأخذ عنه:وقد صنفوا فيه الوحدان - وهو من لم يرو عنه إلا واحد، ولو سمي - فممن جمعه مسلم، والحسن بن سفيان، وغيرهما.

أو لا يسمىٰ الراوي اختصارًا من الراوي عنه؛ كقوله: أخبرني فلان، أو شيخ، أو رجل، أو بعضهم، أو ابن فلان.

ويستدل علىٰ معرفة اسم المبهم بوروده من طريق أخرىٰ مسمىٰ فيها.

وصنفوا فيه المبهمات.

ولا يقبل حديث المبهم ما لم يسم؛ لأن شرط قبول الخبر عدالة راويه، ومن أُبهم اسمه لا تعرف عينه، فكيف تعرف عدالته؟.!

وكذا لا يقبل خبره، ولو أبهم بلفظ التعديل؛ كأن يقول الراوي عنه: أخبرني الثقة؛ لأنه قد يكون ثقةً عنده مجروحًا عند غيره، وهذا علىٰ الأصح في المسألة.

ولهذه النكتة لم يقبل المرسل، ولو أرسله العدل جازمًا.

وقيل: يقبل تمسكًا بالظاهر، إذ الجرح علىٰ خلاف الأصل.

وقيل: إن كان القائل عالمًا أجزأ ذلك في حق من يوافقه في مذهبه.

وهذا ليس من مباحث«علوم» الحديث، والله الموفق.

فإن سمي الراوي وانفرد راو واحد بالرواية عنه؛ فهو مجهول العين؛ كالمبهم، فلا يقبل حديثه إلا أن يوثقه غير من ينفرد عنه علىٰ الأصح، وكذا من ينفرد عنه«علىٰ الأصح» إذا كان متأهلًا لذلك.

أو إن روىٰ عنه اثنان فصاعدًا ولم يوثق؛ فهو مجهول الحال، وهو المستور، وقد قبل روايته جماعة بغير قيد، وردها الجمهور، والتحقيق أن رواية المستور ونحوه مما فيه الاحتمال لا يطلق القول بردها ولا بقبولها، بل«يقال» هي موقوفة إلىٰ استبانة حاله كما جزم به إمام الحرمين، ونحوه قول ابن الصلاح فيمن جرح بجرح غير مفسر»(نزهة النظر ٥٨ – ٦١).

فعلىٰ قول الكاتب إنه لا يعتبر من قال فيه أبو حاتم (مجهول) بأنه مجروح، مع أن الذهبي أدخله في كتابه ميزان الاعتدال، بل ذكر أنه متىٰ ما قال علىٰ راو بأنه مجهول ولم ينسبه فهو قول أبي حاتم، كما صرح بذلك في الميزان (١/ ٦).

ومن تدبر صنيع الذهبي رأىٰ أنه كثيرًا ما يحكي عن أبي حاتم وغيره الحكم بجهالة الراوي فيقره علىٰ ذلك، ولا يعارضه مطلقًا، ولو ترجح له خلاف ذلك لبينه، لأنه اشترط ذلك كما في مقدمة الميزان فليرجع إليها.

٢ - وأن الكاتب أخرج عددًا من الرواة وهم (٧) بحجة أن الذهبي لم يحكِ قول واحد من العلماء علىٰ تضعيفهم، وإنما حكم هو بنفسه عليهم، وهذا يظهر بُعد الكاتب عن العلم وتجنيه علىٰ قواعد المحدثين، وذلك لأن الذهبي وإن لم يصرح بقول أحد في الحكم علىٰ هؤلاء الرواة لكنه نقل قولهم واعتمد حكمهم وإليك البيان:

أ- ذكر الذهبي في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن علية أنه جهمي فقال:

«إبراهيم بن إسماعيل بن علية، عن أبيه، جهمي هالك،كان يناظر ويقول بخلق القرآن، مات سنة ثمان عشرة ومائتين».

وذكر ابن حجر في لسان الميزان أقوال الأئمة فيه فقال:

«وذكره أبو العرب في الضعفاء ونقل عن أبي الحسن العجلي قال قال إبراهيم بن علية جهمي خبيث ملعون قال وقال ابن معين ليس بشيء وقال ابن يونس في تاريخ الغرباء له مصنفات في الفقه شبه الجدل حدث عنه بحر بن نصر الخولاني وياسين بن أبي زرارة وقال الدوري عن ابن معين ليس بشيء وقال الخطيب كان أحد المتكلمين وممن يقول بخلق القرآن قال الشافعي هو ضال جلس بباب السوال يضل الناس قلت باب السوال موضع كان بجامع مصر وقد ذكر الساجي في مناقب الشافعي هذه القصة مطولة وقال ابن عبد البر: له شذوذ كثيرة ومذاهبه عند أهل السنة مهجورة وليس في قوله عندهم مما يعد خلاف وذكر البيهقي في مناقب الشافعي عن الشافعي أنه قال أنا أخالف ابن علية في كل

شيء حتىٰ في قول لا إله إلا الله فإني أقول لا إله إلا الله» (١/ ٢٤٣).

ب- وذكر الذهبي في ترجمة إبراهيم بن الأسود أنه فيه نظر فقال:

«إبراهيم بن الأسود، هو إبراهيم بن أبي عبدالله.

فيه نظر، سمع ابن أبي نجيح».

وهذا هو قول البخاري وإن لم ينسبه له، وانظر إلىٰ ما قاله ابن حجر في لسان الميزان:

«إبراهيم بن عبد الله بن أبي الأسود الكتاني ويقال إبراهيم بن الأسود قال البخاري فيه نظر وقال الأزدي ضعيف لا يحتج به انتهىٰ. وقال ابن عدي ليس بمعروف وهو عزيز الحديث جدًّا وإنما يذكر له عن أبي نجيح مقطعات وأرجو أنه لا بأس به وقال: بن الجارود فيه نظر»(١/ ٧٠).

فالذهبي رجح أنه إبراهيم بن الأسود ونقل قول البخاري فيه وإن لم ينسبه إليه وهذا هو الصواب والله تعالىٰ أعلم.

ج- وذكر في ترجمة إبراهيم بن باب القصار أنه واهٍ فقال:

«إبراهيم بن باب البصري القصار، عن ثابت البناني، واهٍ، لا يكاد يعرف إلا بحديث الطير». وهذا ذكره العقيلي في الضعفاء وضعفه فقال:

«حدثنا موسىٰ بن إسحاق الأنصاري قال: حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قال: حدثنا إبراهيم بن باب القصار قال: حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: جاءت أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ بطائر فوضعته، فقال لها رسول الله ﷺ: «**ما هذا؟**» قالت: طائر صنعته لك، فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي**» فجاء علي قال: ليس لهذا الحديث من حديث ثابت

أصل، وقد تابع هذا الشيخ معلىٰ بن عبد الرحمن، ورواه عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس . . . حدثنا الصائغ عن الحسن الحلواني عنه ومعلىٰ عندهم يكذب، ولم يأت به ثقة عن حماد بن سلمة، ولا عن ثقة، عن ثابت، وهذا الباب الرواية فيها لين، وضعف، لا نعلم فيه شيئًا ثابتًا . وهكذا قال محمد بن إسماعيل البخاري» (١/ ١١٩).

د- وذكر في ترجمة إبراهيم بن حميد الدينوري أنه أتىٰ بخبر باطل فقال:

«إبراهيم بن حميد الدينوري، عن ذي النون المصري، عن مالك، بخبر باطل متنه: لم يجز الصراط أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب، وعنه عثمان بن جعفر».

وهذا هو قول الحاكم في التاريخ كما صرح بذلك ابن حجر في لسان الميزان فقال:

«إبراهيم بن حميد الدينوري عن ذي النون المصري عن مالك بخبر باطل متنه لم يجز الصراط أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب وعنه عثمان بن جعفر وهذا من تاريخ الحاكم» (١/ ٢٦٩).

هـ- وذكر في ترجمة إبراهيم بن الخضر الدمشقي فقال إنه ضعيف.

وذكر ابن حجر في لسان الميزان قول عبد العزيز الكتاني فقال:

«إبراهيم بن الخضر الدمشقي عن الحسن بن عبيد الله الكندي ضعيف انتهىٰ قال ابن عساكر روىٰ عن عبد الوهاب الكلابي والعباس بن محمد بن حبان وعبد الله بن جعفر الطبري وعدة وعنه أبو سعيد السمان وعبد العزيز الكتاني وقال توفي في المحرم سنة خمس وسبعين وأربع مائة كتب الكثير

وحدَّث باليسير وكان فيه تساهل قال أبو الحداد ثقة» (١/ ٢٧٤).

ووجدت أن عبد العزيز الكتاني ذكره في كتابه (ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم) وقال:

«توفي شيخنا أبو محمد إبراهيم بن الخضر المعروف بابن الصايغ يوم عاشورا في المحرم سنة خمس وعشرين وأربعمئة.

كتب الكثير عن عبد الوهاب بن الحسن الكلابي والعباس بن محمد بن حبان وغيرهما، حدث بشيء يسير كان فيه تساهل في الحديث» (١٦٩).

ولهذا ضعفه الذهبي لتساهله في الحديث كما قال الكتاني وهو تلميذه ومن أعرف الناس به.

و- ذكر في ترجمة إبراهيم بن سليمان أنه وضع حديثًا موضوعًا فقال:

«إبراهيم بن سليمان، أراه وضع هذا القول: حدثنا خلاد بن يحيىٰ، عن قيس بن الربيع، عن أبي حصين، عن يحيىٰ بن وثاب، عن ابن عمر، قال: كان علىٰ الحسن والحسين تعويذتان فيهما من زغب جناح جبرائيل عليه السلام، رواه ابن الأعرابي في معجمه عن هذا».

والذهبي رجح أن إبراهيم هذا هو الذي وضع هذا الحديث، ولذلك قال في تلخيص الموضوعات لابن الجوزي:

«حديث لابن عمر قال كان علىٰ الحسن والحسين تعويذات حشوهما من زغب جناح جبريل».

فيه الكديمي -كذاب- ثنا أحمد بن يحيىٰ الأحول ثنا خلاد المنقري حدثني قيس عن أبي حصين عن يحيىٰ بن وثاب عنه.

قلت لا ذنب للكديمي قد رواه عدة عن مطين ثنا الأحول، ورواه ابن الأعرابي عن إبراهيم بن سليمان عن خلاد بن عيسىٰ» (٢١٦).

فالذهبي تبع ابن الجوزي في الحكم بوضع الحديث وخالفه في واضعه، فرجح الذهبي أنه إبراهيم بن سليمان.

وذكر العيني في مغاني الأخبار عن الغضائري أنه ضعيف فقال:

«وعن الغضائري أنه يروي عن الضعفاء، وفي مذهبه ضعف» (ترجمة رقم ٢٤).

وبعد هذا البيان المدلل بالأدلة يتضح فساد قول الكاتب في استقرائه واعتراضه علىٰ الشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ.

٣ - وأخرج الكاتب (٤٢) راويًا بحجة أن الذهبي حكىٰ قول واحد من أهل العلم فيهم ولا يلزم من حكاية قوله أن يوافقه علىٰ حد زعمه، وهذه جناية كبيرة علىٰ الذهبي أولًا وعلىٰ علم الحديث ثانيًا نسأل الله العافية.

وهو بقوله هذا يتهم الذهبي بأنه يحكي قول العالم في الراوي ولا يعارضه، ثم لا يرىٰ موافقته، فما معنىٰ إتيانه بقول العالم في الحكم علىٰ الراوي، ومع هذه فقوله هذا وقاعدته هذه في غاية الفساد والتخليط، ولبيان ذلك سأضرب مثالًا واحداً:

ذكر الذهبي في ترجمة إبراهيم بن أحمد المميذي فقال:

إبراهيم بن أحمد الميمذي القاضي.

روىٰ عن أبي خليفة وأبي يعلىٰ،وعنه يحيىٰ بن عمار الواعظ، قال الخطيب: كان غير ثقة».

فيدعي الكاتب أن الذهبي حكىٰ قول الخطيب فيه ولم يوافقه، مع أن الصحيح أن الذهبي أتىٰ بقول عالم واحد في الحكم علىٰ الراوي لأنه يكتفي به للحكم عليه، ولا يحتاج لذكر غيره، مع وجود من ضعفه غيره، فهنا لم ينفرد الخطيب بالحكم علىٰ هذا الراوي كما يصور الكاتب، بل ضعفه كذلك الساجي كما نقله عنه ابن حجر في اللسان فقال:

«إبراهيم بن أحمد الميمذي القاضي روىٰ عن أبي خليفة وأبي يعلىٰ وعنه يحيىٰ بن عمار الواعظ قال الخطيب كان غير ثقة انتهىٰ واسم جده محمد بن عبد الله ومن شيوخه أبو بكر بن المنذر وزكرياء الساجي وهاه ابن السمعاني أيضًا وروىٰ عنه أيضًا هبة الله بن سليمان بن الدبال وغيره» (١/ ٢٩).

ومما يدل علىٰ ان الذهبي اعتمد قول الخطيب فيه أنه حكاه في المغني (١/ ٨) وسير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٦٢).

والكاتب تقول علىٰ الذهبي في حكاية هذا المذهب عنه حيث قال:

«ولا يلزم من حكاية الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ- لتضعيف واحد من أهل العلم لراو أن يوافقه علىٰ هذا التضعيف-ولا بد -كما نسبه الشيخ المدخلي-، بل نسبة الموافقة إليه مجازفة فاضحة.

فالعدد المتبقىٰ من (٥٨) هو (٢٠) وذلك بطرح (٣٨ راويًا) باسم إبراهيم نقل الذهبي تضعيف واحد -فقط- من أهل العلم له، ولم يتبن فيه جرحًا أو تعديلًا، وهؤلاء لا يصح أن ينسب إلىٰ الذهبي أنه وافق علىٰ جرحهم بناءً علىٰ قوله -أعلاه-:

«ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين ما في كتب الأئمة

المذكورين، خوفًا من أن يتعقب عليّ، لا أني ذكرته لضعف فيه عندي».

وهذا دليل واضح علىٰ أن الكاتب لم يقرأ كتاب ميزان الاعتدال ولا يعرف ما فيه أبدًا، ولو قرأ شيئًا بسيطًا منه لما ادعىٰ هذا الادعاء الباطل، ومع ذلك فقد بتر كلام الذهبي بترًا واضحًا لينصر قاعدته الفاسدة وإليك كلام الذهبي ليظهر لكل منصف فساد صنيع الكاتب.

قال الذهبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في مقدمة الميزان:

«وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنىٰ لين، وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته، ولم أر من الرأي أن أحذف اسم أحد ممن له ذكر بتليين ما في كتب الأئمة المذكورين، خوفًا من أن يتعقب علي، لا أني ذكرته لضعف فيه عندي، إلا ما كان في كتاب البخاري وابن عدي وغيرهما - من الصحابة فإني أسقطهم لجلالة الصحابة، ولا أذكرهم في هذا المصنف، فإن الضعف إنما جاء من جهة الرواة إليهم.

وكذا لا أذكر في كتابي من الأئمة المتبوعين في الفروع أحدًا لجلالتهم في الإسلام وعظمتهم في النفوس، مثل أبي حنيفة، والشافعي، والبخاري، فإن ذكرت أحدًا منهم فأذكره علىٰ الإنصاف، وما يضره ذلك عند الله ولا عند الناس، إذ إنما يضر الانسان الكذب، والإصرار علىٰ كثرة الخطأ، والتجري علىٰ تدليس الباطل، فإنه خيانة وجناية، والمرء المسلم يطبع علىٰ كل شيء إلا الخيانة والكذب» (١/ ٢- ٣).

فحذف الكاتب قول الذهبي (وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنىٰ لين،

وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته).

لأنه يظهر منهج الذهبي في ذكر الرواة الذين لا يوافق الذهبي بعض العلماء علىٰ تضعيفهم وتليينهم لكونهم ثقات، لا لكون أن واحدًا من أهل العلم ضعفه.

وهذا هو منهج الحلبيين في التشغيب علىٰ القواعد السلفية ومناهج الأئمة عن طريق بتر النصوص وتحريف الكلام، كما ظهر ذلك جليًّا واضحًا من صنيع الحلبي ومن تبعه من تلاميذه الذين يسعون لمحاربة المنهج السلفي وعلمائه الأكابر.

٤ - وادعىٰ الكاتب أن خمسة من الرواة لم يرجح الذهبي فيهم جرحًا أو تعديلًا فقال:

«الصنف الأول: من لم يرجح الذهبي فيهم جرحًا أو تعديلًا، وعدتهم خمسة رواة، وهم:

(إبراهيم بن البراء عن الشاذ كوني . إبراهيم بن الزبرقان . أبو إسماعيل المؤدب . إبراهيم بن راشد . إبراهيم بن سويد الصيرفي» .

فادعىٰ الكاتب أن الذهبي حكىٰ فيهم أقوال أهل العلم جرحًا وتعديلًا، وأنه لم يرجح جرحًا أو تعديلًا، ويكفي لبيان بطلان هذا الكلام أن ننظر في أول راوٍ ذكره وهو: (إبراهيم بن البراء عن الشاذكوني) واليك البيان:

أ -أن الذهبي ذكر هذا الراوي باسم (إبراهيم بن البراء بن النضر بن أنس بن مالك الأنصاري».

وذكر فيه أقوال الأئمة فيه وأحكامهم عليه، ولم يذكر فيه غير الجرح فأين

ادعاء الكاتب أنه ذكر فيه اختلاف الأئمة جرحًا وتعديلًا، وإليك قول الذهبي بكماله:

«إبراهيم بن البراء بن النضر بن أنس بن مالك الأنصاري، عن شعبة والحمادين.

قال ابن عدي: ضعيف جدا حدث بالبواطيل.

وقال العقيلي: حدثنا بكر بن سهل، حدثنا إبراهيم بن البراء بن النضر، حدثنا شعبة عن الحكم، فذكر حديثًا منكرًا.

ثم قال العقيلي: يحدث عن الثقات بالبواطيل.

وممن روىٰ عنه سلم بن عبد الصمد، وساق له ابن عدي ثلاثة أحاديث باطلة.

وقال ابن حبان: إبراهيم بن البراء من ولد النضر بن أنس شيخ كان يدور بالشام ويحدث عن الثقات بالموضوعات، لا يجوز ذكره إلا علىٰ سبيل القدح فيه.

روىٰ عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن جابر - مرفوعًا انكحوا من فتياتكم أصاغر النساء فإنهن أعذب أفواهًا، وأنتق أرحامًا.

أنبأنا ابن ناجية، حدثنا عبد السلام بن عبد الصمد الحراني، حدثنا إبراهيم به.

ثم قال ابن حبان: هو الذي روىٰ عن الشاذكونىٰ، عن الدراوردي، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة - مرفوعًا: من ربىٰ صبيًّا حتىٰ يتشهد وجبت له الجنة، وهذا باطل.

قلت: أحسب أن إبراهيم بن البراء هذا الراوي عن الشاذكوني آخر صغير.

وقال أبو بكر الخطيب: إبراهيم بن حبان بن البراء بن النضر بن أنس بن مالك روىٰ عنه محمد بن سنان الشيزري، فنسبه هكذا الخطيب.

وقد روىٰ عنه الحسن بن سعيد الموصلي، فقال: حدثنا إبراهيم بن حبان بن النجار، حدثنا أبي عن أبيه النجار، عن جده أنس، فذكر حديثًا، فأظنه دلسه.

وقال أبو الفتح الأزدي: إبراهيم بن حيان بن البختري، كذا سماه أبو الفتح ثم قال: روىٰ عن شعبة وشريك، ساقط.

قلت: وروىٰ إبراهيم بن البراء أيضًا عن مالك وطائفة، وكان يكون بالموصل.

قد أرخ بعضهم وفاته في سنة أربع أو سنة خمس وعشرين ومائتين» (الميزان ١/ ٢١- ٢٢).

ب -ثم إن الذهبي ذكر أن إبراهيم بن البراء الذي يروي عن سليمان الشاذكوني فهذا آخر صغير، أراد أن يميز بينه وبين الأول، ولم يذكره بجرح ولا تعديل، وإنما حكىٰ فيه أنه أتىٰ بخبر باطل فيمن ربىٰ صبيًّا حتىٰ يقول لا إله إلا الله، ثم قال:

«الظاهر أنه آخر غير الأول، والشاذكوني فهالك».

فأين ما ادعاه الكاتب بأن الذهبي ذكر اختلاف العلماء فيه جرحًا وتعديلًا.

ج -والذهبي ذكر إبراهيم بن البراء الذي يروي عن الشاذكوني في كتابه المغني فقال:

«ابراهيم بن البراء عن سليمان الشاذ كوني عن الدراوردي عن هشام عن أبيه

عن عائشة مرفوعًا من ربىٰ صبيًّا حتىٰ يتشهد وجبت له الجنة اتهم به»(١/ ١١).

وأين ادعاء الكاتب وتجنيه علىٰ الذهبي بأنه لم يرجح القول في هذا الراوي، والمصيبة أن الكاتب يجزم بأن هؤلاء الرواة لا يصح أن ينسب للذهبي أنه يوافق علىٰ جرحهم.

٥ - ثم ذكر الكاتب (١٢) راويًا رجح الذهبي فيهم التعديل علىٰ الجرح، منهم (٥) ليسوا داخلين في استقراء الشيخ ربيع، أضافهم الكاتب ليشغب علىٰ الشيخ، ويبقىٰ (٧) وهم الذين ذكرهم الشيخ في استقرائه الدقيق وتحقيقه البديع، بأن الذهبي لم يوافق علىٰ جرحهم بناء علىٰ قاعدته التي ذكرها في أول كتابه.

ولو تأملنا حال هؤلاء الرواة السبعة الذين لم يوافق الذهبي من جرحهم، لوجدنا أنهم أئمة كبار معروفون بثقتهم وعدالتهم، لا يضر فيهم قول من لينهم أو ضعفهم، وهذا هو عين ما ذكره الإمام الذهبي في مقدمة ميزانه والتي أشرت إليها فيما سبق والتي فيها:

«وفيه من تكلم فيه مع ثقته وجلالته بأدنىٰ لين، وبأقل تجريح، فلولا أن ابن عدي أو غيره من مؤلفي كتب الجرح ذكروا ذلك الشخص لما ذكرته لثقته».

وبعد هذا البيان يظهر لكل ذي عينين المجازفات والتهويلات الفاضحة التي أتىٰ بها الكاتب في استقرائه، يضاف إلىٰ بتر النصوص وتحريف الكلام والتشغيب علىٰ القواعد الحديثية وعلىٰ مناهج المحدثين، وهو مجانب في ذلك لطريق أهل الإنصاف والعدل، موافق لطريق أهل الأهواء والبدع وإلىٰ الله المشتكىٰ.

هذا ما أحببت بيانه الآن، وأما باقي الوقفات فلي فيها مقال يسر الله إتمامه بينت فيه منهج الذهبي في كتابه الميزان، وبينت فيه كذلك جناية الحلبي علىٰ الإمام الذهبي والله الموفق.

وفي الختام أحب أن أذكر ما وقع للإمام الزهري لما اتهمه هشام بن عبد الملك بالكذب لما فيها من العبرة والعظة.

قال الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ:-

«بعض من لا يعتد به لم يأخذ عن الزهري؛ لكونه كان مداخلًا للخلفاء، ولئن فعل ذلك، فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري -رَحِمَهُ اللَّهُ-؟

سلام بن أبي مطيع: عن أيوب السختياني، قال: لو كنت كاتبًا عن أحد، لكتبت عن ابن شهاب.

قلت: قد أخذ عنه أيوب قليلًا.

يعقوب السدوسي: حدثني الحلواني، حدثنا الشافعي، حدثنا عمي، قال:

دخل سليمان بن يسار علىٰ هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان، من الذي تولىٰ كبره منهم؟

قال: عبد الله بن أبي ابن سلول.

قال: كذبت، هو علي.

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبي.

قال: كذبت، هو علي.

فقال: أنا أكذب لا أبا لك! فوالله لو نادىٰ مناد من السماء: إن الله أحل الكذب، ما كذبت، حدثني سعيد، وعروة، وعبيد، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة:

أن الذي تولىٰ كبره عبد الله بن أبي، قال: فلم يزل القوم يغرون به.

فقال له هشام: ارحل، فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل علىٰ مثلك» (السير ٥/ ٣٤٠).

وأنا سمعت شيخنا ووالدنا الشيخ ربيع يقول:

«وأنا أقول بقول الزهري: أنا أكذب لا أبا لك! فوالله لو نادىٰ منادٍ من السماء: إن الله أحل الكذب، ما كذبت».

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين

❁❁❁

ماذا ينقمون من الشيخ ربيع

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فإن الله قيض لهذا الدين رجال يذبُّون ويدافعون عنه في كل زمان ومكان، وذلك لأن الله تبارك وتعالىٰ قد تكفل بحفظ هذا الدين وحمايته من الزيادة فيه والنقص منه، حتىٰ يبقىٰ سالمًا حجة علىٰ العباد في دينهم.

قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ [النساء: ١٦٤، ١٦٥].

ويبقىٰ المخالفون لمنهج الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ينقمون من حملة الشريعة ويحاربونهم بشتىٰ أنواع المحاربة، وهذه سنة من سنن الله تعالىٰ ألا وهي العداء بين الرسل وأتباعهم وبين المخالفين لهم من الكفار والمبتدعة وغيرهم.

قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٨].

قال السعدي في تفسيره: «وهذا من أعظم ما يكون من التجبر وقساوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله ومعاندتها، ومحاربة أهلها وتعذيبهم بهذا العذاب، الذي تنفطر منه القلوب، وحضورهم إياهم عند إلقائهم فيها، والحال أنهم ما نقموا من المؤمنين إلا خصلة يمدحون عليها، وبها سعادتهم، وهي أنهم كانوا يؤمنون بالله العزيز الحميد أي: الذي له العزة التي قهر بها كل شيء، وهو حميد في أقواله وأوصافه وأفعاله.

وهذه السنة قائمة مع قيام الأنبياء وأتباعهم بواجبهم تجاه دين الله تعالىٰ،

لأن الشيطان قد أقسم بعزة الله ليغوين الناس عن صراط الله المستقيم، ويبعدهم عن شريعة رب العالمين حتىٰ يتبعون الخطط الشيطانية والأهواء الإنسانية، فيضلون عن دين الله القويم ».

ومن جملة المحاربة لأولياء الله تعالىٰ ما يواجهه علماؤنا اليوم من أنواع التشهير والطعن في منهجهم وفي علمهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وإن القائمين بهذه المحاربة هم دعاة الأحزاب علىٰ اختلاف مناهجهم وطرقهم، انتصارًا منهم لمنهجهم وطريقتهم، وصدًّا عن السنة وأهلها، وهذه سنة لهم متبعة، فما سلم منهم عالم من علماء أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا، وسلفهم في ذلك أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي لما حارب إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالىٰ.

وإن المصيبة لتعظم وإن البلاء ليكبر لما يغتر بهؤلاء وبدعوتهم وطريقتهم، بعض من ينتسب للسنة وأهلها بل وينتسب للعلم والحديث، فتجد تشابهًا كبيرًا بين المظهرين لمحاربة منهج أهل السنة والجماعة وبين المنتسبين للسنة والعلم فيجتمعون في الطعن بعلماء الدعوة السلفية الذين قد نصبوا أنفسهم لبيان منهج السلف والرد علىٰ المخالفين والمنحرفين وتحذير الأمة منهم ولا تجد من يطعن في أئمة الدعوة السلفية وعلمائها إلا جاهل أو مبغض والله المستعان.

وإن أكثر العلماء الذين نالتهم ألسنة هؤلاء بالطعن والتشهير والتحذير هو إمام الجرح والتعديل الشيخ ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله تعالىٰ.

وإني أتساءل دائمًا وأقول ماذا ينقمون من الشيخ ربيع ولماذا كل

هذا، لكن أتذكر ما نال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني من المخالفين له من أنواع الطعن والتحذير فإذا هي نفس المحاربة ونفس الطريقة ومن نفس الأشخاص فيكون الجواب أن هذه الحرب علىٰ الشيخ ربيع، إنما هي حرب علىٰ الدعوة السلفية النقية الخالصة من البدع والتحزب، وكل من برز من العلماء لبيان مناهج المخالفين وإظهار عوار دعواتهم يلقىٰ ما يلقاه علماؤنا منهم.

ولذلك من حاول أن يتذكر بماذا طعنوا في الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ فإنه سيجد أنهم أخذوا عليه أمورًا هي:

أولًا: أن الشيخ الألباني محدث وليس بفقيه، فهو لا يحسن التعامل مع النصوص الشريعية، وهذا كان من أول الطعن في الشيخ ودعوته لما وجدوا من قبول له عند الناس.

ثانيًا: أن الشيخ الألباني ليس له شيوخ تلقىٰ عنهم العلم ولا درس عندهم، بل كان شيخه الكتب علىٰ حسب زعمهم الباطل ومقصودهم من ذلك تزهيد الناس في علمه حتىٰ في الحديث الذي شهدوا له بالتقدم فيه أول مرة.

ثالثًا: بدأوا يثيرون الخلافات الفقهية الحاصلة بين الشيخ وبين علماء السنة في عصره كسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالىٰ، ويؤولونها بزعمهم علىٰ انها خلافات منهجية، وأن منهج الشيخ الألباني يخالف منهج الشيخ ابن باز رحمهما الله تعالىٰ، مع أن كل سلفي يعلم ما كان بين الشيخين من المحبة والثناء، لكن هي من أفاعيل أهل الأحزاب، مع أنهم طعنوا في الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بطعون لا تقل عن طعنهم بالشيخ الألباني .

رابعًا: لما فشلوا بكل ما قدموه وما سعوا إليه أظهروا ما كان مستقرًّا في نفوسهم من البغض لمنهج السلف فأشاعوا أن الشيخ الألباني كان جاهلًا بفقه الواقع، لأن منهج السلف ليس فيه إلا التوحيد والحديث، وليس فيه الاهتمام بواقع الأمة ولا فيه السياسة ولا ولا...، فهم في هذا أظهروا مخالفتهم لمنهج السلف وأنه ليس بصالح لهذا الزمان، وأن زمان التوحيد والحديث قد انتهىٰ.

إلىٰ غير ذلك من أنواع الطعن، فهم بدأوا بالطعن في العلماء وانتهوا إلىٰ الطعن بمنهج السلف الصالح وهذا هو الخذلان الذي ما بعده خذلان.

وعلىٰ غرار هذا الطعن بالشيخ الألباني، يطعنون اليوم بالشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ، وذلك لأنهما علىٰ دعوة واحدة، وأن دعوة الشيخ ربيع امتداد لدعوة الشيخ الألباني، كيف لا وهو تلميذه وتلقىٰ عنه المنهج والحديث، فما يصيب الشيخ ربيع اليوم قد أصاب الشيخ الألباني بالأمس، وهذا يدل علىٰ أن دعوة السلف دعوة واحدة لا تختلف باختلاف الزمان ولا المكان، وهذه هي وحدة دعوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ولو سألنا هؤلاء الطاعنين في الشيخ ربيع ماذا تنقمون من الشيخ وماذا تنقمون من دعوته لأجابوا أنهم ينقمون عليه بأشياء هي من صلب دعوة أهل السنة والجماعة وأساس منهج السلف، ومن الأمور التي ينقمون بها علىٰ الشيخ هي:

أولًا: أنه مختص بالجرح والتعديل وببيان الأخطاء، فلا تجد في كلامه إلا الرد علىٰ مخالفيه، فلا تجد بحسب زعمهم أنه يتكلم في العلم وشرح السنة وهكذا.

أما اختصاص الشيخ بالجرح والتعديل فهذا والله لهو من أعظم مميزات منهج السلف عن غيره، فأهل السنة هم أهل الحديث كما قال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد لما سئل عن الطائفة المنصورة قَالَ: (إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم)، وما حفظ الله حديث النبي ﷺ إلا بأهل الجرح والتعديل من أهل الحديث أمثال شعبة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيىٰ بن سعيد القطان وأحمد والبخاري ومسلم والنسائي والدارقطني وغيرهم من الأئمة، فهل يعاب علىٰ هؤلاء الأئمة أنهم متخصصون في الجرح والتعديل وفي بيان أوهام الرواة أم ماذا؟

وإذا كان أهل السنة والجماعة بحاجة في ذاك الزمن إلىٰ أهل الجرح والتعديل لبيان الصحيح والسقيم من الأحاديث، ولبيان ثقاة الرواة وضعفائهم، ولبيان أوهام الرواة وأخطائهم، فإننا اليوم بأمس الحاجة لبيان منهج أهل السنة والجماعة وبيان المناهج المخالفة له والمنحرفة عنه، وبيان البدع والأخطاء التي يرتكبها بعض الناس وقد يضيفها البعض إلىٰ منهج أهل السنة والجماعة، لأن المقصود واحد، فكان مقصود علماء الجرح والتعديل تنزيه الشريعة من البدع التي تضاف إليها بسبب الأحاديث المكذوبة علىٰ النبي ﷺ، ولتنزيه كلام النبي ﷺ عن كلام غيره، وهذا هو نفس مقصود علمائنا اليوم من الجرح والتعديل وهو تنزيه منهج أهل السنة والجماعة من البدع والضلالات.

وانا أقول لمن وصف الشيخ ربيع بأنه المتخصص في الجرح والتعديل المعاصر، هل هو وصف نفسه بذلك، أم هو وصف إمام الدنيا في الحديث في هذا العصر، وصفه بذلك الإمام والعالم الرباني الشيخ الألباني فقال (في شريط

بدعة الموازنات):

«**وباختصار أقول**: إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبداً، والعلم معه، وإن كنت أقول دائماً وقلت هذا الكلام له هاتفيًّا أكثر من مرة أنه لو يتلطف في أسلوبه يكون أنفع للجمهور من الناس سواء كانوا معه أو عليه، أما من حيث العلم فليس هناك مجال لنقد الرجل إطلاقاً، إلا ما أشرت إليه آنفاً من شيء من الشدة في الأسلوب، أما أنه لا يوازن فهذا كلام هزيل جدًّا لا يقوله إلا أحد رجلين: إما رجل جاهل فينبغي أن يتعلم، أو رجل مغرض، وهذا لا سبيل لنا عليه إلا أن ندعو الله له أن يهديه سواء الصراط».

فمن أراد أن يرد علىٰ هذا الوصف فليرد به علىٰ الشيخ الألباني، ومن ذا الذي يرد علىٰ الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ.

وهؤلاء الذين يزعمون أن الشيخ ربيعًا لا يتكلم إلا بالجرح والتعديل فهم لم يجالسوا الشيخ ولم يهتموا بكتاباته ومؤلفاته، فمن راجع مكتبة الشيخ ربيع ومقالاته لوجد ما تقر به عينه من الكتب والرسائل، إضافة الىٰ الشروح العلمية لكتب أهل السنة كشرح كتاب الشريعة للآجرِّي وكتاب شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، وكتاب الإبانة لابن بطة وغيرها من الشروحات العلمية.

أما الاهتمام ببيان الأخطاء فهذا من تمام النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل الواجب عليهم أن يفرحوا بأن قيض الله لهم أئمة يهدونهم الىٰ صراط الله المستقيم.

ثانيًا: ومما ينقمون به علىٰ الشيخ ربيع أنه شديد الالفاظ علىٰ

المخالفين ويستدلون بذلك بكلام الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ حيث قال:«وإن كنت أقول دائماً وقلت هذا الكلام له هاتفيًّا أكثر من مرة إنه لو يتلطف في أسلوبه يكون أنفع للجمهور من الناس سواء كانوا معه أو عليه»، وهذه نصيحة من الشيخ الألباني للشيخ ربيع، لا تعني ما يعنيه هؤلاء اليوم من الذم للشيخ ربيع، وشدة الشيخ ربيع من عرفها وتتبع مواضعها عرف أنها في الحق، ولا تكون إلا مع أناس لا تنفع معهم إلا الشدة والقوة، لبيان انحرافهم وضلالهم والواجب علينا حسن الظن بالعلماء وأن هذا محل اجتهادهم فهو يسلكُ ما يراه نافعًا في محله وهم دائرون بين الأجر والأجرين.

ولماذا نغفل عن نصح الشيخ ربيع وكلاماته التي تصاغ بماء الذهب وما فيها من الخير والعلم، لكن هذا دأب من تتبع عورات العلماء من المخالفين لمنهجهم .

ثالثًا: زعمهم أن الشيخ ربيع متوسع في باب الجرح فهو يجرح الأشخاص بأقل أنواع الجرح، وإن لم يكن مما يستحق أن يجرح به إلىٰ آخر زعمهم.

وهؤلاء لم يعرفوا منهج الشيخ ربيع في نقد الأشخاص والطوائف والجماعات، ولم يحاولوا أن يفهموا، فلما تعارض عندهم ما هم عليه، مع كلام العلماء بادروا إلىٰ الطعن بهم بحجج واهية لا قيمة لها في ميزان العلم، ومع ذلك كيف استطاعوا أن يعرفوا أن الشيخ ربيعًا متوسع في باب الجرح؟ ما هو مقياسهم وميزانهم في باب الجرح، لكن المصيبة أن يكون المتكلم بعيدًا كل البعد عن فهم مناهج العلماء في باب الجرح؟ وعلىٰ كل حال فمنهج الشيخ ربيع في جرح الرجال والجماعات قائم علىٰ:

أ- تتبع الشيخ لأقوال المخالفين تتبعًا دقيقًا مع طول تأن في تتبعه واستقرائه، ولذلك من تتبع كلام الشيخ ربيع في نقده للرجال وجد إحاطته الكاملة بأقوال المخالفين مع سبر أحوالهم العملية ومدىٰ تأثيرها في منهجهم ومخالفتهم، حتىٰ يكون الحكم عليهم موافقًا لما هم عليه من الخطأ والإنحراف.

ب- مما يساعد في هذا الباب معرفة الشيخ وإحاطته بالمناهج المخالفة وأصول انحرافهم وشبههم التي ضلوا وانحرفوا بسببها.

ج- إبداء النصائح المتتالية للمخالفين مع مزيد صبر وتحمل، فالشيخ ربيع ناصح كثيرًا من المخالفين قبل الكلام عليهم إما بالمشافهة وإما بالمراسلة أو بغير ذلك، مع تذكير المخالف بالله تعالىٰ وطلب الرجوع عن أقواله وانحرافه.

د- تورع الشيخ ربيع في إصدار الأحكام علىٰ المخالفين، ولذلك غالبًا ما يعرض كلام المخالف علىٰ كثير من العلماء حتىٰ لا ينفرد بالحكم عليه خاصة في التبديع.

ه- ثم الحكم عليه بما يناسب حال المخالف من التخطئة أو التبديع مدعمًا ذلك بالأدلة الكثيرة في بيان حال المخالف ومدىٰ خطورة قوله وانحرافه.

و -ثم التحذير من أقواله وانحرافه خاصة إذا كان ممن يسمع قوله وله أتباع يغترون بكلامه، وخاصة إذا كان ممن ينسب نفسه لمنهج أهل السنة والجماعة.

وهذا علىٰ حسب استقرائي لمنهج الشيخ ربيع في نقده للرجال، فقل لي بربك أين التوسع في باب الجرح والتشدد فيه كما يزعمون، لكنهم فهموه توسعًا وتشددًا في مقابل من يميع باب الجرح ويلغيه، ويفتح باب التعامل مع

المخالفين والمنحرفين ولو كان علىٰ حساب منهج السلف.

فهل كلام الشيخ ربيع في القطبية يعتبر توسعًا أو تشددًا، أم أن كلامه في المليبارية كذلك أم كلامه فيمن وصف أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم بالغثائية تشددًا، أم كلامه فيمن فتح باب التعامل مع أهل البدع علىٰ مصراعيه، أم كلامه في أصحاب بدعة الموازنات، أم ماذا...؟.

وبعد هذه المعرفة والإحاطة ماذا يجب علىٰ الشيخ؟، هل يجب عليه أن يسكت أو يجامل ولو كان علىٰ حساب المنهج أو ضياع الدين؟، أم الواجب عليه أن ينصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؟.

ولذلك قال الشيخ مشهور في هذا قولًا بديعًا:

«ومن عرف معرفة الشيخ ربيع حق له أن يتكلم بما تكلم به الشيخ ربيع».

والواجب علىٰ من أخطأ ألا تأخذه العزة بالإثم بل الواجب عليه أن يسارع بالتوبة إلىٰ الله تعالىٰ، والرجوع عن أخطائه والبراءة منها، وبيان السنة ونصرتها قبل فوات الأوان.

رابعًا: ويزعمون أن الشيخ ربيعًا جرح كثيرًا من السلفيين وتكلم فيهم وبدَّعهم، مع أنهم لم يرتكبوا ما يبدعهم، مما أثر سلبًا علىٰ الدعوة السلفية في كثير من البلدان الإسلامية.

وهذا الزعم باطل من أساسه وذلك من وجوه:

الوجه الأول: لابد أن يعلم أن الدعوة السلفية قائمة بالكتاب والسنة علىٰ منهج سلف الأمة ومتمثلة بعلمائها الربانيين، وهي الدعوة التي تمثل دين الله جل وعلا الذي جاء به النبي ﷺ، وهي الدعوة التي يجب دعوة الناس إليها

وترغيبهم فيها، وتحذيرهم مما سواها، وهي الدعوة التي يجب علىٰ أهلها أن يدافعوا عنها ويذبوا عنها ما أحدثه أهل البدع والانحراف، ولذلك فإن الدعوة السلفية دعوة ربانية نقية صافية.

الوجه الثاني: أن الدعاة الىٰ الدعوة السلفية لا يمثلونها ولا تتمثل بهم، ولذلك فهم في هداية ما تمسكوا بها، وفي ضلال ما انحرفوا عنها، ولذلك فقد يخطئ المنتسب لهذه الدعوة الداعي لها وقد يقع في البدعة جهلًا، وقد يدخل في هذه الدعوة أناس ليسوا من أهلها بل يندسون فيها ليحدثوا أنواعًا من البدع والضلالات، ويلبسوا علىٰ الناس دينهم ومنهجهم.

الوجه الثالث: أن الدعوة السلفية المباركة لا بد فيها من محاربة البدع والانحراف وتحذير الناس منه، وهذا أمر موكول للعلماء فهم الذين يبينون الانحراف علىٰ اختلاف صوره وأشكاله، وهذا من أعظم الجهاد في دين الله تعالىٰ، وهو الدفاع عن دين الله وتنزيهه عما يضاف إليه مما ليس منه، ومن ذلك تحذير الناس من دعاة البدع والضلال وبيان شبههم للناس ليحذروا منهم، وهذا ما قام به علماؤنا علىٰ مر العصور.

الوجه الرابع: من انحرف من دعاة السلفيين لابد أن يعامل معاملة المنحرفين بعد النصح والبيان، فلا يقال لمن انحرف عن السنة وأهلها أنه من أهل السنة وإلا ضاعت السنة وانتشرت البدعة، وضل الناس عن الصراط المستقيم.

الوجه الخامس: والملاحظ لمن تكلم فيهم الشيخ ربيع ممن ينتسب للدعوة السلفية يجد أن أخطاءهم أو بدعهم تشكل خطرًا عظيمًا في تأصيلات

الدعوة السلفية وسأضرب لذلك مثالًا واحدًا:

تكلم الشيخ ربيع في أبي الحسن المأربي كلامًا شديدًا مما ينبىء عن عظم خطره وخطأه، مع أن أبا الحسن المأربي يعلن انتسابه للدعوة السلفية وبراءته من الدعوات المخالفة، وهو معروف تتلمذ عند الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللَّهُ، والتقىٰ كثيرا بالشيخ الألباني وهكذا، لكن لما تكلم الشيخ ربيع فيه بَانَ أمرُهُ وظهر خطره، وأبو الحسن المأربي قد قال بقول يهدم فيه أصلًا من أصول الدعوة السلفية ألا وهو قوله بأن في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غثائية مستدلًا بقوله ﷺ: «**ولكنكم يومئذ غثاء كغثاء السيل**».

وهذا من أعظم الانتقاص للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين زكاهم الله تعالىٰ وأثنىٰ عليهم وأمر باتباع سبيلهم، والدعوة السلفية قائمة علىٰ تزكية الصحابة واتباع فهمهم لكتاب الله تعالىٰ وسنة النبي ﷺ، والقول بالغثائية يناقض هذا الأصل وينقضه.

فاحتاج أهل السنة أن يدافع عن منهجهم ويذب عنه، ويبين للناس خطورة هذا الكلام وخطورة قائله، وبعد أن بين للناس دين الله تعالىٰ ومنهج نبيهم ودافع عن الصحابة الكرام، انتفض أناس يصرخون بأن الشيخ يجرح أهل السنة ويبدعهم.

فهم قبلوا خطأ أبي الحسن ولم يقبلوا دفاع الشيخ ربيع عن منهج أهل السنة، وسموا خطأ أبي الحسن خطأً لفظيًّا غير مقصود.

وسموا دفاع الشيخ ربيع جرحًا لأهل السنة وحربًا عليهم ولا حول ولا قوة إلا بالله.

مع أن الواجب عليهم أن ينصروا الشيخ ربيعًا ويقبلوا قوله، ويردوا علىٰ أبي الحسن قوله ويحذروا منه.

وهكذا غالب ردود الشيخ ربيع علىٰ المخالفين والمخطئين، فليس من العدل بعد ذلك أن تسمىٰ هذه الردود العلمية والمقالات السنية، حربًا علىٰ أهل السنة ويسمىٰ دفاع الشيخ ربيع تجريحًا بأهل السنة، بل هو محض الدفاع عن السنة والنصح لأهلها فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

الوجه السادس: وبهذه الشبهة الشنيعة يستطيع أهل البدع والمخالفين لأهل السنة أن يبرروا بدعهم وانحرافهم، ويردوا علىٰ العلماء بنفس هذه الردود، فأي عالم تكلم في أهل البدع قيل له إنك تجرح أهل السنة وتتكلم فيهم، فتذاع البدع ويشاع الانحراف، وتموت السنة والدعوة الطيبة.

وهذا هو مقصود الدعوات المخالفة لأهل السنة والجماعة من الإخوان وغيرهم، والصحيح أن هذه الشبهات والردود علىٰ العلماء مما لبسه الإخوان علىٰ أهل السنة بهذه الحجج الواهية، لكن من أعظم نعم الله علىٰ أهل السنة أن قيض لهم علماء ينفون عن منهج أهل السنة والجماعة تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

والشيخ ربيع قام بالواجب الكفائي الذي أوجبه الله علىٰ الأمة في الدفاع عن دينه والرد علىٰ من خالفه، ولهذا الرد أصول عند أهل السنة والجماعة بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقال (مجموع الفتاوىٰ ٢٨ – ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥) ونقلته بطوله لأهميته في هذا الباب:

« فَإِذَا كَانَ أَقْوَامٌ مُنَافِقُونَ يَبْتَدِعُونَ بِدَعًا تُخَالِفُ الْكِتَابَ وَيُلْبِسُونَهَا عَلَىٰ

النَّاسِ وَلَمْ تُبَيَّنْ لِلنَّاسِ: فَسَدَ أَمْرُ الْكِتَابِ وَبُدِّلَ الدِّينُ؛ كَمَا فَسَدَ دِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ قَبْلَنَا بِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ التَّبْدِيلِ الَّذِي لَمْ يُنْكَرْ عَلَىٰ أَهْلِهِ. وَإِذَا كَانَ أَقْوَامٌ لَيْسُوا مُنَافِقِينَ لَكِنَّهُمْ سَمَّاعُونَ لِلْمُنَافِقِينَ: قَدْ الْتَبَسَ عَلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ حَتَّىٰ ظَنُّوا قَوْلَهُمْ حَقًّا؛ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْكِتَابِ وَصَارُوا دُعَاةً إِلَىٰ بِدَعِ الْمُنَافِقِينَ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ﴾ فَلَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ بَيَانِ حَالِ هَؤُلَاءِ؛ بَلْ الْفِتْنَةُ بِحَالِ هَؤُلَاءِ أَعْظَمُ فَإِنَّ فِيهِمْ إِيمَانًا يُوجِبُ مُوَالَاتَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا فِي بِدَعٍ مِنْ بِدَعِ الْمُنَافِقِينَ الَّتِي تُفْسِدُ الدِّينَ فَلَا بُدَّ مِنْ التَّحْذِيرِ مِنْ تِلْكَ الْبِدَعِ وَإِنْ اقْتَضَىٰ ذَلِكَ ذِكْرَهُمْ وَتَعْيِينَهُمْ؛ بَلْ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَلَقَّوْا تِلْكَ الْبِدْعَةَ عَنْ مُنَافِقٍ؛ لَكِنْ قَالُوهَا ظَانِّينَ أَنَّهَا هُدًىٰ وَأَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنَّهَا دِينٌ؛ وَلَمْ تَكُنْ كَذَلِكَ لَوَجَبَ بَيَانُ حَالِهَا. وَلِهَذَا وَجَبَ بَيَانُ حَالِ مَنْ يَغْلَطُ فِي الْحَدِيثِ وَالرِّوَايَةِ وَمَنْ يَغْلَطُ فِي الرَّأْيِ وَالْفُتْيَا وَمَنْ يَغْلَطُ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ؛ وَإِنْ كَانَ الْمُخْطِئُ الْمُجْتَهِدُ مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ وَهُوَ مَأْجُورٌ عَلَىٰ اجْتِهَادِهِ. فَبَيَانُ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَاجِبٌ؛ وَإِنْ كَانَ فِي ذَلِكَ مُخَالَفَةٌ لِقَوْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَمَنْ عُلِمَ مِنْهُ الِاجْتِهَادُ السَّائِغُ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُذْكَرَ عَلَىٰ وَجْهِ الذَّمِّ وَالتَّأْثِيمِ لَهُ؛ فَإِنَّ اللهَ غَفَرَ لَهُ خَطَأَهُ؛ بَلْ يَجِبُ لِمَا فِيهِ مِنْ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ مُوَالَاتُهُ وَمَحَبَّتُهُ وَالْقِيَامُ بِمَا أَوْجَبَ اللهُ مِنْ حُقُوقِهِ: مِنْ ثَنَاءٍ وَدُعَاءٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ وَإِنْ عُلِمَ مِنْهُ النِّفَاقُ كَمَا عُرِفَ نِفَاقُ جَمَاعَةٍ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أبي وَذَوِيهِ وَكَمَا عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ نِفَاقَ سَائِرِ الرَّافِضَةِ: عَبْدِ اللهِ بْنِ سَبَأٍ وَأَمْثَالِهِ: مِثْلَ عَبْدِ الْقُدُّوسِ بْنِ الْحَجَّاجِ وَمُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَصْلُوبِ؛ فَهَذَا يُذْكَرُ بِالنِّفَاقِ. وَإِنْ أَعْلَنَ بِالْبِدْعَةِ وَلَمْ يُعْلَمْ هَلْ كَانَ مُنَافِقًا أَوْ مُؤْمِنًا مُخْطِئًا ذُكِرَ بِمَا يُعْلَمُ مِنْهُ فَلَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَقْفُوَ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ

عِلْمٌ وَلَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي هَذَا الْبَابِ إِلَّا قَاصِدًا بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَأَنْ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ . فَمَنْ تَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ بِمَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ كَانَ آثِمًا . وَكَذَلِكَ الْقَاضِي وَالشَّاهِدُ وَالْمُفْتِي كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الْجَنَّةِ: رَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ وَقَضَىٰ بِهِ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَلِمَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِخِلَافِ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ**» وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾ وَ « اللَّيُّ» هُوَ الْكَذِبُ وَ « الْإِعْرَاضُ» كِتْمَانُ الْحَقِّ؛ وَمِثْلُهُ مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا؛ وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**» . ثُمَّ الْقَائِلُ فِي ذَلِكَ بِعِلْمٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ حُسْنِ النِّيَّةِ فَلَوْ تَكَلَّمَ بِحَق لِقَصد الْعُلُو فِي الْأَرْضِ أَوْ الْفَسَاد كَانَ بِمَنْزِلَةِ الَّذِي يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَرِيَاءً . وَإِنْ تَكَلَّمَ لِأَجْلِ اللهِ تَعَالَىٰ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ كَانَ مِنْ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مِنْ وَرَثَةِ الْأَنْبِيَاءِ خُلَفَاءِ الرُّسُلِ . وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ مُخَالِفًا لِقَوْلِهِ: «**الْغِيبَةُ ذِكْرُك أَخَاك بِمَا يَكْرَهُ**» فَإِنَّ الْأَخَ هُوَ الْمُؤْمِنُ وَالْأَخُ الْمُؤْمِنُ إنْ كَانَ صَادِقًا فِي إيمَانِهِ لَمْ يَكْرَهْ مَا قُلْته مِنْ هَذَا الْحَقِّ الَّذِي يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ شَهَادَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ ذَوِيهِ بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِالْقِسْطِ وَيَكُونُ شَاهِدًا لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَوْ وَالِدَيْهِ أَوْ أَقْرَبِيهِ وَمَتَىٰ كَرِهَ هَذَا الْحَقَّ كَانَ نَاقِصًا فِي إيمَانِهِ يَنْقُصُ مِنْ أُخُوَّتِهِ بِقَدْرِ مَا نَقَصَ مِنْ إيمَانِهِ فَلَمْ يَعْتَبِرْ كَرَاهَتَهُ مِنْ الْجِهَةِ الَّتِي نَقَصَ مِنْهَا إيمَانُهُ؛ إذْ كَرَاهَتُهُ لِمَا لَا يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ تُوجِبُ تَقْدِيمَ مَحَبَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾. ثُمَّ قَدْ يُقَالُ: هَذَا لَمْ

يَدْخُلْ فِي حَدِيثِ الْغِيبَةِ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ . وَقَدْ يُقَالُ: دَخَلَ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ خَصَّ مِنْهُ كَمَا يَخُصُّ الْعُمُومَ اللَّفْظِيَّ وَالْعُمُومَ الْمَعْنَوِيَّ وَسَوَاءٌ زَالَ الْحُكْمُ لِزَوَالِ سَبَبِهِ أَوْ لِوُجُودِ مَانِعِهِ فَالْحُكْمُ وَاحِدٌ .

وَالنِّزَاعُ فِي ذَلِكَ يُؤَوَّلُ إِلَىٰ اللَّفْظِ؛ إِذْ الْعِلَّةُ قَدْ يَعْنِي بِهَا التَّامَّةَ وَقَدْ يَعْنِي بِهَا الْمُقْتَضِيَةَ . وَاللهُ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ . وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ».

فتأمل أخي - بارك الله فيك - في كلام شيخ الإسلام وقارنه بكلام هؤلاء الناقمين ستجد أن هؤلاء إنما أزعجهم ظهور الحق وعلو الحجة وارتفاع العلماء، وكلام شيخ الإسلام كلام نفيس لا يستغنىٰ عنه في بابه .

ولا يمكن أن نحصر الأمور التي يطعن فيها بعلمائنا لأنها أمور تتجدد فكلما ذكروا أمرًا وظهر فساده، أظهروا أمرًا آخر وهكذا حتىٰ يظهروا بغضهم لمنهج أهل السنة وعدائهم له كما هو حال من سبقهم من المخالفين والمنحرفين والله المستعان.

وحتىٰ لا يطول بنا المقام لابد من بيان الأمر الذي ينقمون به علىٰ الشيخ ربيع وعلىٰ باقي العلماء وهو:

عداؤهم لمنهج أهل السنة والجماعة وهذا العداء لا يصدر إلا من جاهل بمنهج أهل السنة أو من مبغض له، وهذا هو حال كل المخالفين قديمًا وحديثًا، ولو أنهم ملكوا أكثر من ذلك ما قصروا بشيء وحالهم معلوم لا يخفىٰ علىٰ أحد.

فلما رأوا من دفاع الشيخ ربيع عن منهج أهل السنة، ورده علىٰ أهل البدع فظهر فسادهم وبان انحرافهم نقموا عليه وأعلنوا العداء له، فبدأوا يتحججون

بأنواع الحجج للطعن فيه وصد الناس عنه ليسلم لهم منهجهم، ونسوا أن الله تعالىٰ هو الذي يدافع عن دينه وعن أوليائه.

هذا ما نقموا وينقمون به علىٰ الشيخ، وإلا لو كانوا ممن يقبلون الحق وينصاعون إليه لسمعوا كلام العلماء في الثناء علىٰ الشيخ ربيع وتزكيتهم له ونصح الناس بالرجوع إليه.

لكن هو رفض الحق وبغض أهله، وهاك ما قاله الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الثناء علىٰ الشيخ ربيع: «نحن بلا شك نحمد الله -عز وجل- أن سخر لهذه الدعوة الصالحة القائمة علىٰ الكتاب والسنة علىٰ منهج السلف الصالح، دعاة عديدين في مختلف البلاد الإسلامية يقومون بالفرض الكفائي الذي قل من يقوم به في العالم الإسلامي اليوم، فالحط علىٰ هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلىٰ الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفىٰ علىٰ الجميع إنما يصدر من أحد رجلين: إما من جاهل أو صاحب هوىٰ.

الجاهل يمكن هدايته؛ لأنه يظن أنه علىٰ شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدىٰ.. أما صاحب الهوىٰ فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله - تبارك وتعالىٰ - فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين - كما ذكرنا - إما جاهل فيُعلّم، وإما صاحب هوىٰ فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره».

فكلام الشيخ الألباني ينبئك عن سبب نقم هؤلاء من الشيخ ربيع وعلىٰ من قام مقامه في بيان الحق والرد علىٰ أهل البدع.

وما عليه الشيخ ربيع من العلم والخير قد زكاه كثير من العلماء، فلو رأىٰ العلماء علىٰ الشيخ ربيع شيئًا من الخطأ أو مجانبة الصواب لبينوا ذلك، وكانت ردود الشيخ ربيع تصل إلىٰ العلماء بل صرح بعضهم بالاستفادة منها وهذا من أعظم الأدلة علىٰ زيف ما قاله هؤلاء الناقمون علىٰ دعوة أهل السنة والجماعة لا علىٰ الشيخ ربيع فحسب.

وقال الشيخ الألباني كذلك: «فأريد أن أقول إن الذي رأيته في كتابات الشيخ الدكتور ربيع أنها مفيدة ولا أذكر أني رأيت له خطأ، وخروجًا عن المنهج الذي نحن نلتقي معه ويلتقي معنا فيه».

وهؤلاء يقولون إن الشيخ ربيعًا يجرِّح أهل السنة ويطعن فيهم، ويشككون الناس في الخير والعلم الذي نشره.

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالىٰ:

« بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالعزيز بن باز إلىٰ حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ ربيع بن هادي مدخلي المدرس بالجامعة الإسلامية، وفقه الله.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

فقد بلغني أن فضيلتكم قد كتب شيئًا حول الأستاذ أبي الأعلىٰ المودودي رَحِمَهُ اللَّهُ، فأرجو تزويدي بنسخة مما كتبتم في ذلك..

وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يعين الجميع علىٰ كل خير إنه خير مسئول.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..،،،

الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد».

وهؤلاء يقولون إن الشيخ ربيعًا متشدد يطعن في الناس من غير مبرر.

وسئل الشيخ ابن عثيمين:

سؤال: ما هي نصيحتكم لمن يمنع أشرطة الشيخ ربيع بن هادي بدعوىٰ أنها تثير الفتنة وفيها مدح لولاة الأمور في المملكة وأن مدحه ـ أي مدح الشيخ ربيع للحكام ـ نفاق؟

الجواب: «رأيُنا أن هذا غلطٌ وخطأٌ عظيم، والشيخ ربيع من علماء السنة، ومن أهل الخير، وعقيدته سليمة، ومنهجه قويم.

لكن لما كان يتكلم علىٰ بعض الرموز عند بعض الناس من المتأخرين وصموه بهذه العيوب».

هذه هي علة القوم، انتصروا لرموزهم وتعصبوا لزعمائهم وردوا الحق ونصبوا العداء للعلماء، فرحم الله الشيخ ابن عثيمين علىٰ دقة فهمه وانتصاره لأهل العلم.

وهذا هو الواجب علىٰ أبناء أهل السنة والجماعة فعليهم أن يقفوا ضد دعوات هؤلاء الناقمين، ولا يسمعوا لهم، وينتصروا للحق وأهله، ويذبوا عن أعراض العلماء ويرجعوا إليهم، ويحاربوا البدع ويحذروا من أهلها.

وأختم كلامي هذا بقول النبي ﷺ الذي أخرجه الترمذي (٢٦٢٩) من حديث عبد الله بن مسعود، وابن ماجه (٣٩٨٦)، وأحمد (٩٠٥٤) من حديث أبي هريرة: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ**» واللفظ للترمذي مع أن أصل الحديث في مسلم، وعند الطبراني في الكبير (٥٨٦٧) من حديث سهل بن سعد: بزيادة «قالوا: يا رسول الله وما الغرباء؟ قال: «**الذين يصلحون عند فساد الناس**»، وفي الصغير (٢٩٠) بلفظ:

«قال الذين يصلحون إذا فسد الناس».

فأخبر النبي ﷺ بحال الإسلام وما يكون عليه من الغربة، وبحال الناس وما يكونون عليه من الفساد، وبحال العلماء وما يكونون عليه من الإصلاح، إذ هي مهمة الأنبياء وورثتهم.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه وسلم.

دفع اتهام الشيخ ربيع بأن أحكامه في الجرح والتعديل مبنية على المبالغة والتهويل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين.

وبعد:

فإن علم الجرح والتعديل من علوم أهل السنة والجماعة امتازوا به عن غيرهم من أهل الفرق والضلال، وذلك للمهمة التي قاموا بها: وهي: الحفاظ علىٰ هذا الدين العظيم من تأويل الجهال وتحريف الغلاة وانتحال المبطلين، فلقد ورث أهل السنة والجماعة هذا العلم خلفًا عن سلف، فحفظ الله بهم دينه وسنة نبيه ﷺ، وهذا العلم شمل الرواية وشمل الرد علىٰ أهل البدع والمخالفين علىٰ حد سواء، وهو باق إلىٰ قيام الساعة.

وشأن المخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة هو التهوين من هذا العلم العظيم ومن أهله القائمين به، فيقومون بالتحذير من العلماء ومن أساليبهم وأحكامهم ما استطاعوا لذلك سبيلًا.

ومحاربة أهل البدع والمخالفين لمنهج أهل السنة والجماعة لهذا العلم إنما هو عن طريق المحاربة لأهله القائمين به، وهم أهل الحديث المدافعون عن هذا المنهج العظيم والمحاربون لصنوف البدع علىٰ مر الأزمان، فحفظ الله بهم سنته وأعز الله بهم دينه، وما زال أهل البدع يطعنون في العلماء من أهل الحديث في كل زمان ومكان ليتوصلوا بذلك للطعن في منهج أهل السنة والجماعة، ويستخدمون أصنافا من الكذب والحيل وشتىٰ الوسائل للتوصل

إلىٰ هذا المقصد، فكما سموا علماء أهل السنة بأنهم مشبهة، أو مجسمة، أو حشوية أو غير ذلك من التسميات ومقصودهم الطعن في علماء الأمة وفي مناهجهم وإبعاد الناس عنهم ولو بالكذب، ولذلك صار سمة أهل البدع هو الطعن في علماء الأمة كما قال ابن أبي حاتم - رَحِمَهُ اللَّهُ - :

«وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر وعلامة الزنادقة تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية تسميتهم أهل السنة مشبهة وعلامة القدرية تسميتهم أهل الأثر مجبرة وعلامة المرجئة تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية وعلامة الرافضة تسميتهم أهل السنة ناصبة.

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء» [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/ ١٧٩].

وفي هذا العصر سار أهل البدع من الإخوان والصوفية وغيرهم علىٰ منهج أسلافهم في الطعن في علمائنا وفي منهجهم ويسمونهم بشتىٰ الأسماء والألقاب ليحذروا الناس منهم، فسموهم بالوهابية، والجامية، والمدخلية، وغير ذلك، ويصفونهم بأنهم علماء السلاطين، وأنهم علماء الحيض والنفاس، وأنهم جهال في فقه الواقع، وأنهم الغلاة، إلىٰ غير ذلك، ومقصودهم في ذلك إبطال منهج أهل السنة والجماعة، والدفاع عن البدع وأهلها، يريدون في ذلك الدفاع عن منهج الإخوان وعن ساداتهم أمثال سيد قطب ومن سار علىٰ منهجه واتبع أفكاره.

ومن ضمن أولئك ما قام به أحدهم في مقاله المسمىٰ (الجمع البديع لمجازفات الدكتور ربيع (والمنشور في منتدىٰ كل السلفيين، حيث قام هذا

بجمع كلام للشيخ ربيع ومحاولة إثبات التناقض فيه، للتحذير من أحكام الشيخ ربيع علىٰ المخالفين للمنهج السلفي، وبعد اطلاعي علىٰ المقال رأيت أن كاتبه لا يعرف شيئًا من علم الحديث أو أصوله ولا يعرف منهج علماء الحديث في أحكامهم علىٰ الرواة والمخالفين، وهو بعيد كل البعد عن إدراك مناهج الأئمة أو معرفتها، ومع ذلك فإني سأقف معه بعض الوقفات لبيان زلاته وأخطائه وتجاوزه علىٰ العلماء فأقول وبالله التوفيق:

الوقفة الأولىٰ: قال الكاتب: «إن الناظر في أسلوب الشيخ ربيع في الجرح يجده يقوم علىٰ المبالغة والتهويل فيجرح الرجل بجرح لا تظن أن هناك من هو أضل منه».

ولي عليه ملاحظات:

الأولىٰ: أن الكاتب بعيد كل البعد عن فهم الكتاب والسنة، ولو رجع وتأمل في الكتاب والسنة لعلم أن هذا الأسلوب مقصود للشارع من أجل التحذير من أهل الكفر والشرك والبدع والمعاصي، ومن أفعالهم وأقوالهم الظاهرة والباطنة، ومن الآيات الدالة علىٰ ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ [البقرة: ١١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ٢١]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

واختلف المفسرون في ذلك لأن هناك تعارضًا في الظاهر، حيث إن أفعل التفضيل يدل علىٰ أنه لا يوجد أحد مشارك له في ذلك، أي لا يوجد أظلم ممن

منع مساجد الله وهكذا، ولما تعدد ذلك في القرءان العظيم أشكل فهمه علىٰ هذا المعنىٰ، وذكر الإمام الشنقيطي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في كتابه [دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (صفحة ٧)] وذكر هناك أقوال المفسرين فقال:

«قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ ﴾ [البقرة: ١١٤] الآية. الاستفهام في هذه الآية إنكاري أظلم ممن منع مساجد الله. وقد جاءت آيات أخر يفهم منها خلاف هذا كقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الأنعام: ٢١] الآية. وقوله: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الزمر: ٢٣] وقوله: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾ [الكهف: ٥٧] الآية، إلىٰ غير ذلك من الآيات.

وللجمع بين هذه الآيات أوجه:

منها-تخصيص كل موضع بمعنىٰ صلته: أي مساجد الله-ولا أحد من المفترين أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذبا، وإذا تخصصت بصلاتها زال الإشكال.

ومنها-أن التخصيص بالنسبة إلىٰ السبق، أي لما لم يسبقهم أحد إلىٰ مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكًا طرقهم وهذا يؤول معناه إلىٰ ما قبله، لأن المراد السبق إلىٰ المانعية والافترائية مثلًا.

ومنها-وادعىٰ أبوحيان أنه الصواب، هو ماحاصله أن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة، فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد علىٰ الآخر لأنهم يتساوون في الأظلمية فيصير المعنىٰ: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله ومن افترىٰ علىٰ الله كذبًا ومن كذب بآيات لله، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية ولا يدل علىٰ أن أحدهم أظلم من الآخر كما إذا قلت لا أحد أفقه من

فلان وفلان مثلًا. ذكر هذين الوجهين صاحب الإتقان.

وما ذكره بعض المتأخرين من أن الاستفهام في قوله: ومن أظلم المقصود منه التهويل والتفظيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره كما ذكره عنه صاحب الإتقان يظهر ضعفه لأنه خلاف ظاهر القرآن».

وعلىٰ قول أبي حيان يمكن إطلاق أفعل التفضيل علىٰ أحد ولا يكون هو المتفرد بهذه الصفة، بل قد يوجد من يساويه، بحيث لا يفوق بعضهم علىٰ بعض، ودل علىٰ هذا القول ظاهر القرآن.

ورجح الإمام الشنقيطي قول أبي حيان كما في أضواء البيان (٣/ ٣١٠).

ومثل ذلك ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: «سمعت النبىٰ - ﷺ - يقول: **«قال الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة»** (صحيح البخاري(٧٥٥٩).

الثانية: وخفي علىٰ الكاتب كذلك أن المبالغة في الجرح والتعديل ليست كلها مذمومة وإنما قامت ألفاظ الجرح والتعديل التي ذكرها العلماء من خلال تطبيقات الأئمة علىٰ المبالغة في الألفاظ لتكون أدعىٰ للقبول وأفضل للتحذير من المخالف، وعلىٰ هذا فالمبالغة في الجرح والتعديل علىٰ قسمين هما:

الأول: أن تكون المبالغة في الألفاظ مع وجود مقتضاها في المحكوم عليه سواء أكانت في الجرح أم في التعديل.

قال ابن حجر - رحمه الله :- «وللجرح مراتب أسوأها الوصف بما دل علىٰ المبالغة فيه، وأصرح ذلك التعبير بأفعل، كأكذب الناس، وكذا قولهم: إليه

المنتهىٰ في الوضع، أو ركن الكذب، ونحو ذلك.

ثم: دجال، أو وضاع، أو كذاب؛ لأنها وإن كان فيها نوع مبالغة، لكنها دون التي قبلها.

وأسهلها، أي: الألفاظ الدالة علىٰ الجرح = قولهم: فلان لين، أو سيء الحفظ، أو: فيه أدنىٰ مقال.

وبين أسوأ الجرح وأسهله مراتب لا تخفىٰ». [نزهة النظر صفحة (١٧٤ – ١٧٥)].

وعلىٰ هذا اختلفت مراتب الجرح والتعديل علىٰ حسب توفر الحكم في الراوي جرحًا وتعديلًا، فأوثق الناس ليس كالثقة من حيث الحكم وذلك لأن أوثق الناس من حيث الحفظ والضبط لحديثه أكثر من الثقة المجرد، وكذلك فإن خطأه أقل من خطأ الثقة وهكذا.

وكذلك فإن أكذب الناس أو كذاب ليس كمن يكذب في حديث الناس وهكذا في سائر المراتب.

وعلىٰ هذا فإن المبالغة في هذا القسم محمودة مطلوبة لأئمة الحديث، لأن مقصودهم حماية دين الله تعالىٰ والذب عنه، فينتقون الألفاظ الموصلة لهذا المقصد العظيم جرحًا وتعديلًا، ومن تتبع كلام الأئمة عرف هذا من غير أدنىٰ شك.

وقد يطلق القول ولا يراد به حقيقته، وإنما يطلق علىٰ سبيل المبالغة لتعظيم الأمر **ومن أمثلة ذلك**:

ذكر الذهبي – رَحِمَهُ اللَّهُ – في ترجمة أبي داود الطيالسي قول الجوهري فقال:

«وقال إبراهيم بن سعيد الجوهري: أخطأ أبو داود في ألف حديث.

قلت: هذا قاله إبراهيم علىٰ سبيل المبالغة، ولو أخطأ في سبع هذا، لضعفوه» [السير (٩ / ٣٨٢)].

وذكر في ترجمة الشافعي - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

«**قال أبو عبيد**: ما رأيت أعقل من الشافعي، وكذا قال يونس بن عبد الأعلىٰ، حتىٰ إنه قال: لو جمعت أمة لوسعهم عقله.

قلت: هذا علىٰ سبيل المبالغة، فإن الكامل العقل لو نقص من عقله نحو الربع لبان عليه نقص ما، ولبقي له نظراء، فلو ذهب نصف ذلك العقل منه، لظهر عليه النقص، فكيف به لو ذهب ثلثا عقله! فلو أنك أخذت عقول ثلاثة أنفس مثلًا، وصيرتها عقل واحد، لجاء منه كامل العقل وزيادة. سير أعلام النبلاء» [السير (١٠ / ١٥)].

وذكر أيضًا في ترجمة: الربيع بن يحيىٰ بن مقسم الأشناني قول الدارقطني فقال:

«وأما الدارقطني، فلينه، وقال الحاكم: سألت الدارقطني عنه، فقال: روىٰ عن سفيان الثوري، عن ابن المنكدر، عن جابر في الجمع بين الصلاتين.

قال: وهذا يسقط مائة ألف حديث.

يعني: من أتىٰ بهذا ممن هو صاحب مائة ألف حديث، أثر فيه لينًا، بحيث تنحط رتبة المائة ألف عن درجة الاحتجاج، وإنما هذا علىٰ سبيل المبالغة، فكم ممن قد روىٰ مائتي حديث، ووهم منها في حديثين وثلاثة وهو ثقة؟!» [السير (١٠/ ٤٥٣)].

الثاني: أن تكون المبالغة في الألفاظ مع عدم وجود مقتضاها في المحكوم عليه سواء أكانت في الجرح أم في التعديل.

وهذه هي المبالغة المرفوضة عند المحدثين كأن يُعدل الضعيف والمجروح، وكأن يُجرح الثقة المعروف، فلذلك ترىٰ المحدثين يردون هذا الجرح والتعديل ولا يقبلونه لعدم توفر مقتضاه في المحكوم عليه جرحًا أو تعديلًا وقد يصفونه بالمبالغة أو الغلو أو غير ذلك.

قال ابن رجب - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن قول وكيع في جابر الجعفي مادحًا له: (لولا جابر الجُعْفي لكان أهل الكوفة بغير حديث، ولولا حماد لكان أهل الكوفة بغير فقه) فقال ابن رجب:«ما ذكره وكيع غلو غير مقبول، فأين أبو إسحاق والأعمش ومنصور وغيرهم من أهل الثقة والصدق والأمانة، وأين إبراهيم وغيره من أهل الفقه والعلم» [شرح علل الترمذي (١/ ٣٦٩)].

وقال الذهبي - رَحِمَهُ اللَّهُ - **في ترجمة احمد بن جعفر القطيعي**: «صدوق مقبول وقد قال ابن الصلاح اختل في آخر عمره حتىٰ كان لا يعرف شيئًا مما يقرأ عليه وقال هذا ابو الحسن بن الفرات قلت وهذا إسراف وفيه مبالغة وقال الخطيب لم نر أحدًا ترك الاحتجاج به وقال الحاكم ثقة مأمون» [المغني (١/ ٣٥)].

الثالثة: وبعد هذا فلابد أن يعلم من أي قسم كانت المبالغة في أحكام الشيخ ربيع هل هي من القسم الأول المحمود المطلوب أم من القسم الثاني المردود غير المقبول، وهذا يبينه حال المحكوم عليهم وهم:

سيد قطب، محمد الغزالي، عدنان عرور، أبو الحسن المأربي، المليباري، علي الحلبي وغيرهم.

فمن قرأ كتبهم ومقالاتهم وتدبر حقيقة دعوتهم علم يقينًا ما عليه القوم من أنواع البدع الكبيرة التي لا يمكن لمنصف أن يغض الطرف عنها ويسكت أو يعدل أهلها، ومن وجد غير ذلك فليأتي بالدليل والبرهان علىٰ ما يدعي، لكن بشرط أن يكون ممن يفهم العلم ولغة العلماء لا أن يتكلم بالسفسطات والتأويلات ورد الحق للمصالحات وغير ذلك، لأن الموطن موطن الدفاع عن دين الله تعالىٰ وإثبات الحقائق الصحيحة وبالتالي معرفة هؤلاء وبيان حالهم للناس والدين أمانة في رقاب أهله.

ونسي هؤلاء وتناسوا أن كلام ا لشيخ ربيع في هؤلاء كان من باب التغليظ عليهم لما ارتكبوه من صنوف البدع والضلالات، والتحذير منهم دفاعًا عن دين الله تعالىٰ، وهذا هو منهج الأئمة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ.

ولو أخذنا مثالًا واحدًا من هؤلاء لعرفنا حقيقة بدعهم وضلالهم فمثلًا سيد قطب هل يخفىٰ حاله علىٰ سلفي عرف المنهج السلفي وعرف منهج العلماء الربانيين وعايش دعوتهم المباركة، ولذلك أقر العلماء الشيخ ربيعًا فيما انتقده علىٰ سيد قطب ولم يعترضوا عليه هذه الاعتراضات التي يعترضها القوم اليوم للدفاع عن سيدهم ومنهجه.

الوقفة الثانية: صرح الكاتب بأنه ينتقد أسلوب الشيخ ربيع لما فيه من المبالغة والتهويل علىٰ حد زعمه.

ولا أدري هل أن الكاتب ينتقد أسلوب الشيخ ربيع فقط أم ينتقد الأسلوب والأحكام كذلك، وهو وإن لم يصرح بذلك لكنه هو الأقرب لأنه وصف أسلوب الشيخ ربيع علىٰ أنه يقوم علىٰ المبالغة والتهويل، ومقصوده أنه أطلق

أحكامًا علىٰ المخالفين لا تتناسب وحقيقة حالهم، ويريد الكاتب أن يقول إن هؤلاء لم تتوفر فيهم ما ذكره الشيخ ربيع فاحتاج الشيخ للمبالغة والتهويل للتحذير منهم، فمثلًا قال في سيد قطب:«أنا ما رأيت في أهل الأهواء والضلال مثل هؤلاء،لا في الكذب، ولا في عدم المبالاة بمبادئ الإسلام وأصوله، وقِيَمُهُ كلها تُداس تحت أقدام سيد قطب، ولا قيمة لها، ما رأينا شرًّا منهم، خطر، خطر، خطر، خطر».

يصف الشيخ ربيع الإخوان المسلمين بأنهم من أهل الأهواء والبدع، وأنهم من أهل الكذب وعدم المبالاة لمبادئ الإسلام وأصوله.

أين المبالغة والتهويل في كلام الشيخ فهل يستطيع أن يثبت الكاتب بأن الإخوان ليسوا من أهل الأهواء والبدع، أو أنهم صادقون في دعوتهم، أو أنهم محافظون لأصول الإسلام وقيمه.

أين قيمة التوحيد عند الإخوان المسلمين، أم أين قيمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقيمة الصحابة ﷺ أجمعين، أين مواقفهم من أهل البدع كالجهمية والمعتزلة والروافض والخوارج وغيرهم، أين دعوتهم في بيان دين الله تعالىٰ ونشره للناس، أين مواقفهم من اليهود والنصارىٰ، إلىٰ غير ذلك.

وإن كان الكاتب يعترض علىٰ الشيخ أسلوبه في قوله: ما رأيت فسيأتي بعد قليل بيان ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

الوقفة الثالثة: يفهم من كلام الكاتب اتهامه الصريح للشيخ ربيع بأنه يتلاعب بالأحكام علىٰ المخالفين بحيث يبالغ متىٰ شاء ويهون متىٰ شاء.

وهذا فيه اتهام لمقصد الشيخ ربيع والطعن في دينه، وهذه والله جرأة خبيثة

لم يتجرأ عليها غير هؤلاء لما يحملونه من الحقد علىٰ دعوة العلماء ومنهجهم، وإلا مَن من العلماء من طعن في دين الشيخ ربيع أو اتهمه بما يتهمه الكاتب.

وكلام الشيخ ربيع قد اطلع عليه أكثر العلماء وأفاضلهم وأثنوا عليه وعلىٰ جهوده المباركة في حماية دين الله تعالىٰ والذب عنه، وهذا الشيخ الألباني رحمه الله تعالىٰ ذكر أنه لم يجد للشيخ ربيع خطأً واحدًا مع اطلاعه علىٰ كتب الشيخ ربيع وعلىٰ ردوده علىٰ المخالفين، والشيخ الألباني إمام عصره في الحديث، فهل يا ترىٰ خفي عليه خطأ الشيخ ربيع في إصداره الأحكام وأنه يتلاعب فيها حاشاه.

وأنا أنصح الكاتب بأن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ وأن يرجع من هذا الاتهام الخطير للشيخ ربيع قبل فوات الأوان.

وأرجع وأقول من أثبت خلافَ قول الشيخ ربيع فليثبته إن استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، فليثبتوا أن سيد قطب لم يطعن في الأنبياء عليهم السلام، ولا في الصحابة ﷺ، وأنه عقيدته كانت موافقة لعقيدة العلماء، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

الوقفة الرابعة: انتقد الكاتب أسلوب (ما رأيت ونحوها) عند الشيخ ربيع واعتبر هذا من المبالغة والتهويل.

ولو رجع الكاتب إلىٰ منهج المحدثين وعرف أحكامهم والألفاظ التي يستعملونها لما أقدم علىٰ هذا، لكنه الجهل والحقد الذي ملأ قلوبهم وعقولهم نسأل الله العافية في الدنيا والآخرة.

ولا أدري كيف فهم الكاتب أن في هذا الأسلوب مبالغة وتهويلًا مع أن

الشيخ ربيعًا يخبر عن أحوال هؤلاء علىٰ حسب معرفته بهم وقراءته لكتبهم ومقالاتهم واطلاعه علىٰ حال دعوتهم، وجاء هذا الإخبار من هذه المعرفة والاطلاع، فمن وجد غير ذلك فليثبته بالأدلة الصحيحة.

وهل يستطيع الكاتب أن يصف أئمة أهل الحديث بهذا الوصف ويتهمهم بهذا الاتهام الخبيث ولذلك فسأنقل له بعض كلام الأئمة فيه من المبالغة والتهويل علىٰ حد زعمه.

١ - **قال ابن معين** - رَحِمَهُ اللَّهُ - **في معاوية بن مروان الفزاري**: والله ما رأيت أحيل للتدليس منه.[تهذيب الكمال (٢٧/ ٤٠٨)].

وإنما قال ابن معين ذلك لكثرة رواية مروان بن معاوية عن المجاهيل وإلا فهو ثقة صدوق في روايته.

ولو أردنا أن نعتمد منهج الكاتب في تعامله مع العلماء لقلنا لابن معين أين المدلسين الكبار أمثال بقية والوليد بن مسلم، فهما أصحاب تدليس التسوية الذي هو أخبث وأشر أنواع التدليس علىٰ الإطلاق.

ومع ذلك يُقسم ابن معين أنه ما رأىٰ أحيل للتدليس منه، ولا يلام ابن معين علىٰ ذلك وهو الإمام المعروف وذلك لتمام التحذير مما وقع فيه مروان بن معاوية من التدليس وكلما كان أمر التدليس خفيًّا كان شره أعظم وخطره أكبر.

٢ - **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** - رَحِمَهُ اللَّهُ - في معرض كلامه عن الجهمية:«وصارت طائفة جهمية لم تكن علىٰ عهد رسول الله - ﷺ - ولا علىٰ عهد الصحابة، وإنما هو رأي محدث ويرون أن أول من تكلم جهم بن صفوان، وكان جهم فيما بلغنا لا يعرف بفقه ولا ورع ولا صلاح، أعطي لسانًا منكرًا،

فكان يجادل ويقول برأيه، يجادل السمنية وهم شبه المجوس يعتقدون الأصنام، فكلمهم فأخرجوه حتىٰ ترك الصلاة أربعين يومًا لا يعرف ربه وكلامهم يدعو إلىٰ الزندقة، وكلامهم وضعناه لغير واحد من أهل اللغة والبصر، فمالوا آخر أمرهم إلىٰ الزندقة، والرجل إذا رسخ في كلامهم ترك الصلاة واتبع الشهوات وكان أبو الجوزاء صاحب جهم، وكان أقوىٰ في أمرهم من جهم فيما بلغنا، وكان يسكن الغاريات، وأخبرنا أناس من أهلها من صالحيهم أنه ترك الصلاة وشرب الخمر، واتبع الشهوات، وأفسد عالمًا من الناس فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدىٰ، ما أعلم ممن تكلم في الإسلام قومًا أخبث من كلامهم...» [مجموع الفتاوىٰ (١/ ٣٦١- ٣٦٢)].

فهنا نص شيخ الإسلام علىٰ أنه لم يعلم أخبث من قولهم ممن تكلم في الإسلام، فهم أخبث الفرق وأقوالهم أخبث الأقوال علىٰ الإطلاق.

وقال في موضع ثانٍ يصف القرامطة قائلًا:

«فأما مذاهبهم وعقائدهم فكانت منكرة باتفاق أهل العلم بدين الإسلام وكانوا يظهرون التشيع وكان كثير من كبرائهم وأتباعهم يبطنون مذهب القرامطة الباطنية وهو من أخبث مذاهب أهل الأرض أفسد من اليهود والنصارىٰ ولهذا كان عامة من انضم إليهم أهل الزندقة والنفاق والبدع: المتفلسفة والمباحية والرافضة وأشباه هؤلاء ممن لا يستريب أهل العلم والإيمان في أنه ليس من أهل العلم والإيمان. فأحدث هذا «المشهد» في المائة الخامسة نقل من عسقلان. وعقيب ذلك بقليل انقرضت دولة الذين ابتدعوه بموت العاضد آخر ملوكهم» [مجموع الفتاوىٰ (٤/ ٥٠٨)].

أفلا يعد هذا من التناقض علىٰ منهج الكاتب المخترَع الجديد، حيث إن شيخ الإسلام صرح بأن الجهمية هم أخبث المذاهب مطلقًا، وهنا صرح بأن القرامطة والباطنية هم أخبث مذاهب أهل الأرض، فمن يكون أخبث المذاهب الجهمية أم الباطنية، لكن أهل السنة يعلمون يقينًا أن هذا ليس من باب التناقض في شيء وإنما هذا يتنزل في كل فرقة من جهة معينة كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالىٰ.

الوقفة الرابعة: لا بد أن يعلم أن كلام العلماء في المخالفين لا يصدر عن هوىٰ ولا عن تعصب، وإنما يصدر عن علم وخبرة واطلاع علىٰ أقوالهم وأحوالهم، إما عن طريق مشافهتهم أو عن طريق كتبهم ومقالاتهم، وإما عن طريق نقل الثقات عنهم، فلذا لم نر علماءنا من المتقدمين والمتأخرين يتكلمون في المخالفين بالظن فضلا عن أن يتكلموا بالهوىٰ والتعصب، ومن خبر كلام الأئمة تيقن ذلك، ولذلك نجد أن العالم يتكلم في فرقة أو في شخص قبل ظهور بدعه ظهورًا واضحًا، وما هذا إلا مما رزقهم الله من العلم والبصيرة ليحفظ الله علىٰ الناس دينه، وليفضح أعداء هذا الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «وأما هؤلاء الاتحادية فهم أخبث وأكفر من أولئك الجهمية ولكن السلف والأئمة أعلم بالإسلام وبحقائقه فإن كثيرًا من الناس قد لا يفهم تغليظهم في ذم المقالة حتىٰ يتدبرها ويرزق نور الهدىٰ فلما اطلع السلف علىٰ سر القول نفروا منه . وهذا كما قال بعض الناس: متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئًا ومتعبدة الجهمية يعبدون كل شيء. وذلك لأن متكلمهم ليس في قلبه تأله ولا تعبد فهو يصف ربه بصفات العدم والموات» [مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٧٧)].

ولذلك نرىٰ الأئمة كانوا ينقلون أقوال السلف في المخالفين من الفرق والأشخاص من غير أدنىٰ شك أو سوء ظن، بل كانوا يعلمون يقينًا أن السلف ما كانوا يتكلمون إلا بالعلم والعدل، يقصدون بذلك الذب عن دين الله تعالىٰ، فكلامهم مدون محفوظ، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أما ما يتعلق بكلام الشيخ ربيع فهو من هذا القبيل يعلم ذلك كل منصف سواء أكان من الموافقين للشيخ ربيع أم من المخالفين له، وهذا عُلِم من واقع حال أحكام الشيخ ربيع أولًا، وبتزكيات العلماء له ثانيًا.

قال الشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - في الثناء علىٰ الشيخ ربيع:

«نحن بلا شك نحمد الله -عز وجل- أن سخر لهذه الدعوة الصالحة القائمة علىٰ الكتاب والسنة علىٰ منهج السلف الصالح، دعاة عديدين في مختلف البلاد الإسلامية يقومون بالفرض الكفائي الذي قلَّ من يقوم به في العالم الإسلامي اليوم، فالحط علىٰ هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلىٰ الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفىٰ علىٰ الجميع إنما يصدر من أحد رجلين: إما من جاهل أو صاحب هوىٰ.

الجاهل يمكن هدايته؛ لأنه يظن أنه علىٰ شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدىٰ.. أما صاحب الهوىٰ فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله - تبارك وتعالىٰ - فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين - كما ذكرنا - إما جاهل فيُعلّم، وإما صاحب هوىٰ فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره».

وقال أيضًا: «فأريد أن أقول إن الذي رأيته في كتابات الشيخ الدكتور ربيع أنها مفيدة ولا أذكر أني رأيت له خطأ،وخروجًا عن المنهج الذي نحن نلتقي معه ويلتقي معنا فيه».

وسئل الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

سؤال: ماهي نصيحتكم لمن يمنع أشرطة الشيخ ربيع بن هادي بدعوىٰ أنها تثير الفتنة وفيها مدح لولاة الأمور في المملكة وأن مدحه -أي مدح الشيخ ربيع للحكام نفاق؟

جواب الشيخ: «رأيُنا أن هذا غلطٌ وخطأٌ عظيم، والشيخ ربيع من علماء السنة، ومن أهل الخير، وعقيدته سليمة، ومنهجه قويم.

لكن لما كان يتكلم علىٰ بعض الرموز عند بعض الناس من المتأخرين وصموه بهذه العيوب».

أما من حيث الواقع فلم يتكلم الشيخ ربيع في أحد من غير حجة ولا بينة، بل الشيخ يدعم قوله بالأدلة والبراهين الكثيرة الدالة علىٰ حكمه في المتكلم فيه، ولذلك قال الشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ في [نصيحته لأهل العراق ص٢٥]: «إنَّ أحكام الشيخ ربيع علىٰ الرجال ليست مبنية علىٰ الاجتهاد، وإنما هي قائمة علىٰ دراسة واسعة لأقوال مَنْ ينتقدهم من المخالفين للمنهج السلفي وأهله، وفي مسائل أصولية؛ بعضها عقدي وبعضها منهجي».

الوقفة الخامسة: أن الكاتب لم ينصف في كثير مما نقله عن الشيخ ربيع، حيث أنه اقتطع الحكم وترك الأسباب التي ذكرها الشيخ ربيع والتي بنىٰ حكمه عليها، وكان الواجب علىٰ الكاتب أن يكون أمينًا ومنصفًا في نقله، خاصة وأن

المتكلم فيهم من رؤوس الدعوات المنحرفة في هذا الزمان كسيد قطب والغزالي والمليباري وغيرهم، وسأذكر بعض الأمثلة علىٰ ذلك:

المثال الأول: قال الكاتب:

«**قال الشيخ ربيع**: وقد أتيت بعض البلدان ورأيت كيف الخشوع والخضوع والذلّ والطمع في أموات لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا! والله ما رأيت هذا الخشوع عند بيت الله العتيق! ـ وربِّ السماء ـ».

مع أن الشيخ ربيعًا تكلم عن مشاهد الصوفية التي شاهدها ورءاها، فوصف فعلهم ونقل اعتقادهم فقال:

«هذه هي الطريقةُ الصحيحة للدعوةِ إلىٰ اللهِ تبارك وتعالىٰ، الآن العالَم الإسلامي تذهب إلىٰ الشرق والغرب، تجد أوثانًا وقبورًا، تجد مدنًا من القبور، تدعىٰ من دون الله، ويستغاث بها من دون الله، وتشدّ إليها الرحال كما تشدّ إلىٰ البيت العتيق، ويطاف بهذه الأوثان، ويركع ويسجد لها، ويعتقدون فيها ما يخجل منه أبو جهل من أنّها تعلم الغيب وتتصرّف في الكون! وقد أتيت بعض البلدان ورأيت كيف الخشوع والخضوع والذلّ والطمع في أموات لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا! والله ما رأيت هذا الخشوع عند بيت الله العتيق! ـ وربِّ السماء ـ ويَخُور بعضهم كما يخور الثور، ويخرُّ يهوي علىٰ عتبة الولي طمعًا ورجاءً وخوفًا ورغبةً! وينسىٰ الله تبارك وتعالىٰ! أمر عظيم!». [مفرغ من شريط أهمية التوحيد].

ومما يدل علىٰ سوء صنيع الكاتب وأنه أراد التلبيس أنه ذكر مصدر هذا الكلام بأنه [أشرطة مفرغة للشيخ ربيع] ولم يعين الشريط المذكور وهو [أهمية التوحيد].

فمن تأمل كلام الشيخ ربيع هذا فيما نقله من أفعال أولئك الناس يعرف يقينا دقة الشيخ ربيع، حيث إن كثيرًا من الصوفية والرافضة يفعلون من الأفعال ويعتقدون من الاعتقادات مما لم تكن عند أهل الجاهلية الذين دعاهم النبي ﷺ وحاربهم من أجل التوحيد، وهذا عين ما نقله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في كثير من رسائله.

فأين المبالغة والتهويل في كلام الشيخ ربيع، إذا كنت تجهل حال الرافضة والصوفية فاذهب فانظر إلىٰ أفعالهم مع شيوخهم وساداتهم.

المثال الثاني: قال الكاتب:

«قال الشيخ ربيع:

ومارأيت أحدًا منهم يستخف بأخبار الآحاد أويحاربها بضراوة كما يفعل الغزالي».

فاقتصر الكاتب علىٰ قول الشيخ ربيع هذا، وترك كلام الشيخ في بيان استخفاف الغزالي بخبر الآحاد وأنه فاق الأشاعرة في ذلك، وكلام الشيخ هذا جاء بعد أن عرض كلام الغزالي في رده لخبر الآحاد وأنه يستخف به استخفافًا عجيبًا، فقد قال **الشيخ - حفظه الله**:-

«من الجدير بالذكر حسب تتبعي لمنهج الأشاعرة أني لم أجدهم - لا سيما المتقدمين منهم - يردون أخبار الآحاد لا في العقائد ولا في غيرها، وإنما نجدهم يسلمون بما لا يتعارض مع عقائدهم، ويتأولون ما يخالفها كما يتأولون نصوص القرآن.

وتفريقهم بين الأخبار المتواترة وأخبار الآحاد إنما هو أمر نظري، ولها

جلالها ومكانتها عندهم.

وما رأيت أحدًا منهم يستخف بأخبار الآحاد أو يحاربها بضراوة كما يفعل الغزالي، وقد ذكرت سلفًا موقفهم منها بل موقف بعض المعتزلة.

فإذا نسب الغزالي إلىٰ الأشاعرة أو إلىٰ غيرهم من أهل السنة أنهم لا يبنون عقائدهم علىٰ أخبار الآحاد فذلك راجع إلىٰ أحد أمرين:

إما أنه جاهل بالواقع الذي عليه المنتسبون إلىٰ السنة.

وإما أنه يعرف ذلك ويسلك مسلك المغالطين لترويج مذهبه، وأفكاره الشاذة التي تؤدي إلىٰ نبذ معظم السنن الصحيحة» [كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها].

ومما نقله الشيخ ربيع من استخفاف الغزالي ما قاله:«إنني آبي كل الإباء أن أربط مستقبل الإسلام كله بحديث آحاد مهما بلغت صحته، كيف أجازف بعقائد ملة شامخة الدعائم عندما أقول: لا يؤمن بها من لم يؤمن بهذا الحديث» [كشف موقف الغزالي من السنة وأهلها].

فأي جرأة وأي استخفاف بعد هذا، يريد أن يلغي حديث الآحاد جملة وتفصيلًا مهما بلغت صحته، ويأتي الكاتب ويعتبر كلام الشيخ ربيع في الغزالي مبالغة وتهويلًا ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

المثال الثالث: قال الكاتب:

«قال الشيخ ربيع:

تالله ما رأيت مثل هذا الاضطراب والتلاعب عند أحد يعقل ويدعي العلم، فضلاً عن أئمة الحديث الذين يدّعي المليباري كذبًا وزورًا أنه يسير علىٰ منهجهم».

اقتصر الكاتب على قول الشيخ هذا فقط، وترك كلامه في بيان منهج المليباري في حربه على صحيح مسلم بطريقة عجيبة من التلاعب، حيث إن المليباري يعرف شره كل من عرف منهجه لأن منهجه يقوم على أن كتاب صحيح مسلم كتاب معلل وأن التعليل فيه قائم على طريقة خفية غير واضحة وهي طريقة التقديم والتأخير، فمن خلال هذا المنهج يستطيع رد أي حديث بدعوى أن مسلمًا أخره ليبين علته وهكذا، ولو نقل الكاتب كلام الشيخ ربيع لسلم من الخيانة العلمية، وكلام الشيخ - حفظه الله - هو:

«وهذا التصرف من مسلم وهو شرحه وبيانه بالكلام مثل سائر البشر، ومنهم الأنبياء والعلماء؛ يهدم ما نسجه المليباري من خياله من أن مسلمًا لا يبين العلل على طريقة أهل الحديث وغيرهم من البشر، وإنما بالترتيب والتقديم والتأخير الذي لا يفهمه أمثالنا، وإنما يفهمه الحفاظ، ويعرفون أن هناك اضطرابًا واختلافًا، إلى آخر دعاواه الباطلة.

ونسأل المليباري بأي مذهبيك أو مذاهبك تأخذ ويأخذ الناس، وخاصة أمثالنا وعوام الناس؟

تالله ما رأيت مثل هذا الاضطراب والتلاعب عند أحد يعقل ويدعي العلم، فضلاً عن أئمة الحديث الذين يدّعي المليباري كذبًا وزورًا أنه يسير على منهجهم» [التنكيل بما في توضيح المليباري من الأباطيل صفحة ٣٠].

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي تبين عدم إنصاف الكاتب وتركه للأمانة العلمية، مع أن الواجب عليه أن يحقق كل عبارة وكل لفظة ويدرس الأسباب التي ذكرت، والملابسات المحيطة بالحكم، لكن القوم عن هذا

المنهج بعيدون، وعن تحقيقه قاصرون، لا يهمهم من هذا كله سوىٰ طرح الشكوك في نفوس العوام تجاه العلماء، ليبعدوهم عنهم، ولينصرفوا إلىٰ غيرهم من أهل البدع والضلال، وهذا هو منهج أهل البدع في كل زمان ومكان، يحاربون علماء أهل السنة والجماعة بكل الوسائل المتاحة لهم، ولا يقصرون في ذلك، لكن الله هو ناصر دينه ومعز أوليائه وفاضح أعدائه.

الوقفة السادسة: أن الألفاظ التي أنكرها الكاتب علىٰ الشيخ ربيع لا نكارة فيها مطلقا، وأن مثل هذه الألفاظ مستخدمة من أئمة السلف كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالىٰ، ومن هذه الألفاظ:

١ - قول الشيخ ربيع - حفظه الله:- «فأنا والله،ماعرفت مرجئة ضد الحكام، وضد المعاصي والبدع؛ مثل مرجئة الإخوان والقطبيين».

وقول الشيخ ربيع - حفظه الله:- «هذا هو الضلال، هذا هو الضلال البعيد، ما عرفت أحدًا تجرأ علىٰ الإسلام وعلىٰ الصحابة مثله، ومع هذا يُقدَّس».

ومثله قول شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ:-

«ولقد كان الناس يعجبون ويسخرون من قول الفلاسفة إن العلم هو العالم والعلم هو القدرة فيجعلون هذه الصفة هي الأخرىٰ ويجعلون الصفة هي الموصوف فإن فساد هذا من أبين الأمور في العقل والعلم بفساده ضروري فجاء هذا المتأخر منهم ففر إلىٰ ما هو شر من ذلك فقال بل العلم نفس المعلومات وهذا ما عرفت أحدًا من العالمين سبقه إليه وهم يدعون معرفة العقليات وهذا كلامهم في رب العالمين لا يقوله إلا من هو من أضل الناس».[الصفدية (٢/ ٣٠٠)].

٢- قول الشيخ ربيع - حفظه الله:-

«أنا ما رأيت في أهل الأهواء والضلال مثل هؤلاء،لا في الكذب، ولا في عدم المبالاة بمبادئ الإسلام وأصوله، وقِيَمُهُ كلها تُداس تحت أقدام سيد قطب، ولاقيمة لها، مارأينا شرًّا منهم،خطر،خطر،خطر،خطر.. ».

وقوله: «وما رأيت أحدًا منهم يستخف بأخبار الآحاد أو يحاربها بضراوة كما يفعل الغزالي».

ومثله قول ابن الأعرابي فيما نقله عنه اللالكائي بسنده قال:«ما رأيت قومًا أكذب علىٰ اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق» [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٦٧)].

وقال الخلال - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «وقال علي بن داود القنطري أما بعد فعليكم بالتمسك بهدي أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإنه إمام المتقين لمن بعده وطعن لمن خالفه وأن هذا الترمذي الذي طعن علىٰ مجاهد برده فضيلة النبي مبتدع ولا يرد حديث محمد بن فضيل عن ليث عن مجاهد عسىٰ أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا قال يقعده معه علىٰ العرش إلا جهمي يهجر ولا يكلم وحذر عنه وعن كل من رد هذه الفضيلة وأنا أشهد علىٰ هذا الترمذي أنه جهمي خبيث لقد أتىٰ علي أربع وثمانون سنة ما رأيت أحدًا رد هذه الفضيلة إلا جهمي وما أعرف هذا ولا رأيته عند محدث قط وأنا منكر لما أتىٰ به من الطعن علىٰ مجاهد ورد فضيلة النبي يقعد محمد علىٰ العرش وأنه من قال بحديث مجاهد فهو جهمي ثنوي لا يدفن في مقابر المسلمين وكذب عدو الله وكل من قال بقوله فهو عندنا جهمي يهجر ولا يكلم وحذر عنه وقد حدثني آدم بن أبي

إياس عن شعبة بن الحجاج عن عبيدالله بن عمران أنه قال سمعت مجاهدا يقول صحبت ابن عمر لأخدمه فكان هو يخدمني فمثل هذا يرد حديثه وقد قال: «**خير الناس قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم**» فقد سبقت شهادة النبي لمجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ» [السنة (١/ ٢٣٤- ٢٣٥)].

ونقل ابن الجوزي عن صالح بن محمد الأسدي أنه قال في محمد بن حميد الرازي:«ما رأيت أحذق بالكذب منه ومن الشاذكوني» [الضعفاء والمتروكون ٣/ ٥٤].

ونقل كلام صالح بن محمد شيخ الإسلام ابن تيمية فقال - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «وهو مع ذلك ضعيف عند أكثر أهل الحديث كذَّبه أبو زرعة وابن وارة.

وقال صالح بن محمد الأسدي: «مارأيت أحدًا أجرأ علىٰ الله منه، وأحذق الكذب منه» [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة(١/ ٢٧)].

وقال الذهبي - رَحِمَهُ اللَّهُ:- وقال صالح بن محمد: كنا نتهم ابن حميد.

قال أبو علي النيسابوري: قلت لابن خزيمة: لو حدث الأستاذ عن محمد بن حميد، فإن أحمد بن حنبل قد أحسن الثناء عليه.

قال: إنه لم يعرفه، ولو عرفه كما عرفناه، لما أثنىٰ عليه أصلًا.

قال أبو أحمد العسال: سمعت فضلك، يقول: دخلت علىٰ ابن حميد، وهو يركب الأسانيد علىٰ المتون.

قلت: آفته هذا الفعل، وإلا فما أعتقد فيه أنه يضع متنا.

وهذا معنىٰ قولهم: فلان سرق الحديث.

قال يعقوب بن إسحاق الفقيه: سمعت صالح بن محمد الأسدي، يقول: ما

رأيت أحذق بالكذب من سليمان الشاذكوني، ومحمد بن حميد الرازي، وكان حديث محمد بن حميد كل يوم يزيد [السير (١١/ ٥٠٥)].

وقال - رَحِمَهُ اللَّهُ -: «قال أبو إسحاق الجوزجاني: هو غير ثقة.

وقال أبو حاتم: سمعت يحيىٰ بن معين، يقول: قدم علينا محمد بن حميد بغداد، فأخذنا منه كتاب يعقوب القمي، ففرقنا الأوراق بيننا، ومعنا أحمد بن حنبل، فسمعناه، ولم نر إلا خيرًا.

فأي شيء تنقمون عليه؟ قلت يكون في كتابه شيء، فيقول: ليس هو كذا، ويأخذ القلم فيغيره، فقال: بئس هذه الخصلة.

وقال النسائي: «ليس بثقة» [السير (٢٢/ ١٠٨ - ١٠٩)].

إلىٰ غير ذلك من الأمثلة الكثيرة جدًّا والتي لا يمكن الإحاطة بها في هذا المقام.

الوقفة السابعة: ولا بد أن يعلم أن هذه الأحكام من الشيخ ربيع ومن غيره من أئمة السلف إنما قامت علىٰ حسب اطلاعهم التام واستقرائهم الكامل لأحوال من تكلموا فيه، والواجب علىٰ الناس أن يسمعوا لهم ويقبلوا أحكامهم ولا يعترضوا عليهم، إلا إذا تبين بالأدلة الصحيحة خلاف ما نقلوه، فإن تبين خلاف ما نقلوه روجعوا وبين لهم للوصول إلىٰ الحق، والعلماء إذا تبين لهم الحق رجعوا إليه بغض النظر عن قائله، والشواهد علىٰ ذلك كثيرة جدًّا.

والمقصود: أن هذا الباب هو من باب أخبار الثقات فلا يجوز رده بالهوىٰ أو الجهل أو العاطفة وغيرها، لأن من أعظم أصول السنة قبول أخبار الثقات، ومن أعظم أصول البدع رد أخبار الثقات.

قال الشيخ مقبل - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «ولكن كالذي خفي عليك أنهم قد يعلون طريقًا، ولايعنون بذلك أن الحديث معل من جميع طرقه، وقد ذكرت لذلك أمثلة في مقدمة «أحاديث معلة ظاهرها الصحة».

بل الذي ظهر لي من تصرفك أنك لاتعرف شيئًا عن علم العلل، فأنصحك أنك إذا احتجت إلىٰ شيء من كتب العلل أن تنقل من كتب المؤلفين في «العلل» كابن أبي حاتم والترمذي والدارقطني.

وتسلم لهم فهم أهل الفن وأعلم بعلمهم، ولست أدعوك إلىٰ التقليد، فإن هذا ليس من باب التقليد ولكنه من باب قبول خبر الثقة، والله سبحانه وتعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] مفهوم الآية: أنه إذا جاءنا العدل فإننا نأخذ بخبره، والله أعلم» [غارة الفصل صفحة (٥٢-٥٣)].

وقال أيضًا: «أنا لا أقول: إن أئمة الحديث رحمهم الله معصومون، فإنك إذا قرأت في كتب العلل تجد أوهامًا لشعبة وسفيان الثوري وغيرهما من أئمة الحديث، ولكن هذه الأوهام ينبه عليها من بعدهم، وليس لدىٰ المحدثين رحمهم الله محاباة، وأنا لا أدعوك إلىٰ تقليدهم فإن التقليد حرام، وليس اتباعك للمحدثين من باب التقليد؛ بل من باب قبول خبر الثقة كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات:٦] كما في «إرشاد النقاد إلىٰ تيسير الاجتهاد» للصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ [المصدر نفسه صفحة ٦٤].

الوقفة الثامنة: أن ما صوره الكاتب من تناقض الشيخ ربيع في أحكامه علىٰ المخالفين، إنما هو تصور خاطئ، لا يقوم علىٰ العلم والإنصاف، وإنما هو قائم

علىٰ التحامل علىٰ علماء أهل السنة، ومحاباة أهل البدع والدفاع عنهم، ولو تتبع الكاتب كلام السلف لعلم بُعد نظرته، وسخافة عقله، بحيث تصور أو صور لنفسه أن أحكام الأئمة قائمة علىٰ التناقض والاضطراب، وهذا ليس ببعيد فاتُّهم من قبل كثير من الأئمة، لكن الله هو يدافع عن أوليائه ويمحق أعداءه وأعداءهم.

ولا بد أن يعلم أن ما ذكره الكاتب من أحكام الشيخ ربيع والذي اتهمه فيها بأنه متناقض ومضطرب، أنه لا تناقض فيها البتة ولا اضطراب فيها أبدًا، وإنما تحمل علىٰ أمور من أهمها:

١ - اشتراك أهل البدع في بدعهم وتقليد المتأخر للمتقدم منهم، فيستحق الجميع وصف الحكم، لأنهم مشتركون في البدعة وفي وسائلها من الكذب والمحاربة لأهل السنة والجماعة.

فمن تكلم في الإخوان المسلمين ووصفهم بالبدعة والكذب وعدم المبالاة لأصول الإسلام وقيمه، فإنه سيتكلم قطعًا في القطبية الذين ساروا علىٰ منهج الإخوان المسلمين وقلدوا أصولهم وتطبيقاتهم البدعية، وهكذا في سائر الجماعات المبتدعة والأشخاص المنحرفين.

ولهذا حذر الأئمة من كل من تبع أهل البدع وسار علىٰ أصولهم، مثل تحذيرهم ممن تبع جهم بن صفوان وواصل بن عطاء والتلمساني وابن عربي وغيرهم.

٢ - أن للتأريخ الزمني دوره في إطلاق الأحكام علىٰ الفرق والجماعات والأشخاص، فمن أدرك سيد قطب أو أدرك دعوته وعلم ما فيها من الضلال

الكبير، وجب عليه بيان ذلك والتحذير منه، ثم تعلق أناس بدعوة سيد قطب وانتهجوا منهجه وساروا على درب في البدعة والضلال داعين إلى ذلك ومحاربين منهج أهل السنة والجماعة فوجب على من علم حاله أن يبين ذلك وأن يحذر منه أشد من تحذير الأول لوجوده، وأثره في الناس وهكذا.

ومن أمثلة ذلك:

ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللَّهُ - قول الإمام أحمد في الجهمية فقال:

«قال أبو عبدالله فالقرآن من علم الله ألا تراه يقول علم القرآن والقرآن فيه أسماء الله عز وجل أي شيء يقولون لايقولون أسماء الله غير مخلوقة، ومن زعم أن أسماء الله مخلوقة فقد كفر، لم يزل الله تعالى قديرًا عليمًا عزيزًا حكيمًا سميعًا بصيرًا، لسنا نشك أن أسماء الله ليست بمخلوقة، ولسنا نشك أن علم الله ليس مخلوقًا وهو كلام الله ولم يزل الله متكلمًا. ثم قال أبو عبدالله وأي أمر أبين من هذا، وأي كفر أكفر من هذا إذا زعموا أن القرآن مخلوق، فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون إنما يقولون القرآن مخلوق فيتهاونون به ويظنون أنه هين ولايدرون ما فيه من الكفر» [مجموع الفتاوى (٦/ ٤٧٨ -٤٧٩)].

ونقل ابن القيم - رَحِمَهُ اللَّهُ - قول عبد الله بن أحمد بن حنبل وابن أبي حاتم عن ابن مهدي قوله فقال:«وذكر عبدالله بن أحمد وابن أبي حاتم عن عبدالرحمن بن مهدي أنه قال ليس في أصحاب الأهواء أشر من أصحاب جهم يريدون أن يقولوا إن الله لم يكلم موسى ويريدون أن يقولوا ليس في السماء شيء وإن الله ليس على العرش أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا» [الصواعق المرسلة(٤/ ١٤٢١)].

وهذا في نظر الكاتب ومن وافقه يعارض قول الإمام أحمد الذي نقله عنه الخلال بسنده في كتاب السنة فقال:

«وأخبرني محمد بن أبي هارون، ومحمد بن جعفر، أن الحارث حدثهم؛ قال: سمعت أبا عبد الله يقول: القرآن كلام الله ليس بمخلوق ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر . قلت: يا أبا عبد الله ! أي شيء قلت لأبي العباس؟ فقال: قال: لا أقول غير مخلوق إلا أن يكون في كتاب الله . قلت له: فتقول إن وجه الله ليس بمخلوق؟ فقال: لا إلا أن يكون في كتاب الله نص . فارتعد أبو عبد الله وقال: أستغفر الله سبحان الله هذا الكفر بالله . أحد يشك أن وجه الله ليس مخلوق؟ فقلت: يا أبا عبد الله إن الجهمية لم تقل هذا . قال: إيش الجهمية هؤلاء أشر من جهم وأخبث، هذا الكفر الذي لا شك فيه .» (السنة ٦/ ١٨ – ١٩).

فالإمام أحمد لما أطلق الكفر علىٰ الجهمية ولم ير كفرًا أعظم ولا أبين من كفر الجهمية، لم يكن وقتها من ادعىٰ أن وجه الله مخلوق، فلما أظهر من أظهره ذكر الإمام أحمد أنه أكفر وأشر وأخبث من قول الجهمية، فهل يقال إن الإمام أحمد قد تعارض وتناقض في أقواله وأحكامه علىٰ المخالفين، نعم قد يسمىٰ هذا تعارضًا وتناقضًا عند أصحاب الفهم المنكوس الذين نكست عندهم المفاهيم وقلبت عندهم الحقائق وتغيرت عندهم الثوابت فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

٣ – أن يكون إطلاق الألفاظ الغليظة في حق المبتدعة والمخالفين جميعًا، بحيث يصلح الحكم علىٰ كل من وجد فيه الوصف الأول، ويكون هذا الإطلاق من باب (ومن) أي ومن المخالفين ومن المبتدعين وهكذا، ويكون

الحكم حينئذ يتعلق بالفعل الذي فعل، فيكون المقصود التحذير من هذه الأفعال بإطلاق الأحكام الغليظة علىٰ فاعلها.

ومن الأمثلة علىٰ ذلك ما أخرجه البخاري (٣٨٧٣)، ومسلم (٥٢٨) (١٦) في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: إنَّ أُمَّ حَبِيبَةَ، وَأُمَّ سَلَمَةَ ذَكَرَتَا كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِالحَبَشَةِ فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَذَكَرَتَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ أُولَئِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّوَرَ، فَأُولَئِكَ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وأخرج مسلم في صحيحه (١٠٦٧) (١٥٨) عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - أَوْ سَيَكُونُ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي - قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ**» فَقَالَ ابْنُ الصَّامِتِ: فَلَقِيتُ رَافِعَ بْنَ عَمْرٍو الْغِفَارِيَّ، أَخَا الْحَكَمِ الْغِفَارِيِّ، قُلْتُ: مَا حَدِيثٌ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي ذَرٍّ: كَذَا وَكَذَا؟ فَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الْحَدِيثَ، فَقَالَ: وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وأخرج البخاري (٦٠٣٢) ومسلم (٢٥٩١) (٧٣) عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا استأذن علىٰ النبىٰ - ﷺ - فلما رآه قال: «**بئس أخو العشيرة، وبئس ابن العشيرة**» . فلما جلس تطلق النبىٰ - ﷺ - فىٰ وجهه وانبسط إليه، فلما انطلق الرجل قالت له عائشة يارسول الله حين رأيت الرجل قلت له كذا وكذا، ثم تطلقت في وجهه وانبسطت إليه فقال رسول الله - ﷺ -: «**ياعائشة متىٰ عهدتني فحَّاشًا، إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره**».

وأخرج البخاري (٦٠٥٨) ومسلم (٢٥٢٦) (٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه

سمع رسول الله -ﷺ- يقول: «**إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**».

وفي رواية لمسلم: «**إن من شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه**».

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم عن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله**».وذكره السيوطي في ا لجامع الصغير وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩٧).

ففي هذه الأحاديث أطلق النبي ﷺ علىٰ الذين اتخذوا القبور مساجد بأنهم «**شرار الخلق عند الله يوم القيامة**»، وأطلق علىٰ الخوارج بأنهم «**شر الخلق والخليقة**»، وأطلق علىٰ من يُتقىٰ اتقاء شره بأنه «**شر الناس**»، وعلىٰ ذي الوجهين بأنه: «**شر الناس**».

مع أن الحكم ينطبق عليهم جميعًا لأن مقصود النبي ﷺ التحذير من هذه الأفعال المخالفة لدين الله تعالىٰ، فأطلق علىٰ فاعليها هذه الأحكام الغليظة لهذا المقصد الجليل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:-

«فالمعبودون من دون الله سواء كانوا أولياء كالملائكة والأنبياء والصالحين، أو كانوا أوثانًا؛ قد تبرّءوا ممّن عبدهم وبيّنوا أنه ليس لهم أن يوالوا من عبدهم ولا أن يواليهم من عبدهم، فالمسيح وغيره كانوا برآء من المشرك بهم ومن إثمه، لكن المقصود بيان ما فضّل الله به محمدًا وأمته وأنعم به عليهم

من إقامته التوحيد لله؛ والدعوة إلىٰ عبادته وحده، وإعلاء كلمته ودينه، وإظهار ما بعثه الله به من الهدىٰ ودين الحقّ، وما صانه الله به وصان قبره من أن يتّخذ مسجدًا.

فإن هذا من أقوىٰ أسباب ضلال أهل الكتاب، ولهذا لعنهم النبيّ ﷺ علىٰ ذلك تحذيرًا لأمته، وبيّن أن هؤلاء شرار الخلق عند الله يوم القيامة.»[(مجموع الفتاوىٰ ١/ ٢٨٦)].

قال الطحاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ:-

«حدثنا ابن مرزوق، حدثنا عفان، حدثنا وهيب بن خالد، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم** (١) **زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» حدثنا أبو أمية، حدثنا قبيصة بن عقبة، حدثنا سفيان، عن خالد الحذاء، وعاصم، عن أبي قلابة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ فذكر مثله غير أنه لم يذكر في حديثه: «**وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب**» حدثنا أبو أمية، حدثنا خلف بن الوليد العتكي، حدثنا الأشجعي، ثنا سفيان، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس، عن النبي ﷺ مثله غير أنه قال: «**وأفرضها زيد، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ**» فسأل سائل عن المراد بما ذكر به كل واحد من أبي، وزيد، ومعاذ في هذا الحديث، وهل يوجب ذلك له أن يكون في معناه الذي ذكر به فوق الخلفاء الراشدين

(١) أعلمهم بعلم الفرائض أي: المواريث.

المهديين ومن سواهم من أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين؟، فكان جوابنا له في ذلك أن من جلت رتبته في معنىٰ من المعاني جاز أن يقال إنه أفضل الناس في ذلك المعنىٰ، وإن كان فيهم من هو مثله أو من هو فوقه».

وقال أيضًا:

«ونحن نعلم أن ابن ملجم قد كان من أهل التوحيد وإنما الذي كان منه حتىٰ عاد به مطلقا عليه أنه أشقىٰ الناس عظيم ما كان منه، وجلالة جرمه، وفتقه في الإسلام ما فتقه، ونحن نعلم مع ذلك أن أشقىٰ منه من لم يوحد الله ساعة قط، وجعل لله ولدا ولقي الله علىٰ ذلك، وهو في الشقوة فوق ابن ملجم، ومن ذلك ما قد روي عن رسول الله ﷺ في الخوارج الذين منهم ابن ملجم كما حدثنا محمد بن سنان الشيزري، حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطي، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الخولاني، عن الأوزاعي، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ في وصفه الخوارج بالصلاة والصوم، ثم قال: «**يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية شرار الخلق والخليقة**» وكما حدثنا الربيع المرادي، حدثنا بشر بن بكر، عن الأوزاعي، ثم ذكر بإسناده مثله وقد علمنا أن من نحل لله ولدًا، أو أشرك به، وقتل أنبياءه وكذب رسله شر من هؤلاء؛ لما عظم ما كان منهم وجل جاز بذلك أن يقال: هم شر الخلق والخليقة، وجاز لمن تفرد منهم بما تفرد به في علي أن يقال: هو أشقىٰ البرية وإن كان فيها من هو في الشقوة مثله أو من هو في الشقوة فوقه، فمثل ذلك ما ذكرناه عن رسول الله ﷺ في كل واحد من أبي، ومن زيد، ومن معاذ في الحديث الذي رويناه في صدر هذا الباب جاز إطلاق ذلك له علىٰ ما في الحديث؛ لجلالة مقداره في المعنىٰ الذي أضيف إليه

فيه؛ ولعلو رتبته فيه وإن كان قد يجوز أن يكون في أصحاب رسول الله ﷺ من هو في ذلك المعنىٰ مثله، ومن هو فوقه في ذلك المعنىٰ؛ وهذا لسعة اللغة ولعلم المخاطبين بذلك مراد رسول الله ﷺ بما خاطبهم به فيه، ولولا أن ذلك كذلك ما جاز أن يقال لمن عظمت رتبته في العلم وجل مقداره فيه: إنه أعلم الناس إذ كان الذي يقول ذلك له لا يعرف الناس جميعًا، ولا يقف علىٰ مقادير علومهم، وإذا جاز له ذلك مع تقصيره عن معرفة الناس جميعًا، وعن معرفة مقدار علومهم إذ كان لا يعرف منهم مثل الذي وصفه مما وصفه به كان ذلك مما قد عقلنا به أن المراد بمثله من يعرفه قائل ذلك القول، وأنه جاز له جمع الناس جميعًا في قوله، وأن ذلك علىٰ المجاز لا علىٰ الحقيقة» [شرح مشكل الآثار ٢/ ٢٨١ - ٢٨٨].

٤ - أن تفاوت البدع وأهلها في إبعاد الناس عن منهج أهل السنة والجماعة، له أثره في إطلاق الأحكام علىٰ الفرق والأشخاص، فكلما كانت البدعة أكثر خفاءً وأعظم شبهة كان التحذير منها أشد لقوة تأثر الناس بها، وكذا إذا صدرت البدعة من إمام معروف مشهور وجب التحذير منها أشد وهكذا.

لأن الواجب علىٰ أهل السنة والجماعة الذب عن دين الله تعالىٰ، ونصرة منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

نقل الخلال - رحمه الله - عن عبد الله بن الإمام أحمد أنه قال:

«وسمعت أبي مرة أخرىٰ وسئل عن اللفظية، فقال: من كان منهم يحسن الكلام بالقرآن فهو جهمي، وقال مرة أخرىٰ: هم أشر من الجهمية، وقال مرة أخرىٰ: هو الجهمية» [السنة ٧/ ٧٣)].

وقال أيضًا: «وأخبرنا سليمان، قال: سألت أحمد قلت: هؤلاء الذين يقولون ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، قال هذا شر من قول الجهمية من زعم هذا فقد زعم أن جبريل عليه السلام جاء بمخلوق، وأن النبي ﷺ تكلم بمخلوق» [السنة (٧/ ٧٦)].

قال الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله - في إيضاح هذا المعنىٰ:

«(هم شر من الجهمية)،ووجهه: أن معتقد الجهمية مصرح فيه بالباطل، وهو وهو أن القرآن مخلوق، فنقده وبيان فساده للناس بالحجج والبراهين سهل، ولكن لما يأتي الواقفة ويقررون مذهبهم علىٰ أنه من باب الورع ويقفون في هذه الصفة، فهذا أخطر ما يكون علىٰ العوام، فيظنون أن في قولهم شيئًا من الوسطية والاعتدال، والواجب الإفصاح بالمعتقد الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة . وعدم الإيمان به أوالتوقف والتردد كله زيغٌ وضلال، والله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾[الحجرات:١٥] والتوقف عن الإيمان بالحق نوعٌ من الشك والريْب» [التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود المسماة بالحائية].

٥ - أن يكون أهل البدع مشتركين في أصول ومختلفين في أصول أخرىٰ، فيطلق الحكم عليهم جميعًا فيصيبهم كل من جهة مختلفة عن الجهة الأخرىٰ.

فسيد قطب أخبث وأشد بدعة ممن جاء بعده من جهة، لأنه هو المنظِّر لهذا المنهج الفاسد، وهو رأس فيه، يعظم ويقدس علىٰ حساب دين الله تعالىٰ.

وعدنان عرور أشد خبثًا وبدعةً من سيد قطب من جهة الشبه التي أثارها علىٰ أهل السنة والجماعة، لأنه من المتسترين بهذا المنهج وبعلمائه فخفي علىٰ

كثير من الناس، فاغتروا بكلامه واتبعوا منهجه.

وهكذا الأمر في باقي أهل البدع.

قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «وأما «القدرية» المُقرُّون بالعلم و «الروافض» الذين ليسوا من الغالية والجهمية والخوارج: فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم والخوارج مع قوله: ما أعلم قومًا شرًّا من الخوارج . ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع مطلقًا روايتين حتىٰ جعلوا المرجئة داخلين في ذلك وليس الأمر كذلك وعنه في تكفير من لا يكفر روايتان أصحهما لا يكفر . وربما جعل بعضهم الخلاف في تكفير من لا يكفر مطلقًا وهو خطأ محض والجهمية – عند كثير من السلف: مثل عبدالله بن المبارك ويوسف بن أسباط وطائفة من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم – ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة التي افترقت عليها هذه الأمة؛ بل أصول هذه عند هؤلاء: هم الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية وهذا المأثور عن أحمد وهو المأثور عن عامة أئمة السنة والحديث أنهم كانوا يقولون؛ من قال: القرآن مخلوق فهو كافر ومن قال: إن الله لا يرىٰ في الآخرة فهو كافر ونحو ذلك» [مجموع الفتاوىٰ (١٢/ ٤٨٦-٤٨٧)].

فنقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد قوله: (ما أعلم قومًا شرًّا من الخوارج) مع أنه لا يكفرهم، وكفر الجهمية، فهل يقال إن الإمام أحمد قد تناقض واضطرب في هذا فليتنبه.

ومثله قول شيخ الإسلام أيضًا: «وبهذا يتبين لك أن من قال منهم إن القرآن

محفوظ بالقلوب حقيقة مقروء بالألسنة حقيقة مكتوب في المصاحف حقيقة كما أن الله معلوم بالقلوب مذكور بالألسنة مكتوب في المصاحف حقيقة، فهو يقصد هذا التلبيس من جعل الكتب المنزلة وسائر كلام الله بالنسبة إلىٰ ما ادعوه من ذلك المعنىٰ النفساني كسائر أسماء الله بالنسبة إلىٰ نفسه، وقد تبين لك أن هذا من أفسد القياس فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلىٰ به كثيرًا من عباده وفضلنا علىٰ كثير ممن خلق تفضيلًا . وبهذا وأمثاله تعلم أن القائلين بخلق القرآن وإن كانوا أخبث قولًا من هؤلاء من جهات مثل نفيهم أن يقوم بالله كلام فهؤلاء أخبث منهم من جهات أخر مثل منعهم أن يكون كلام الله ما هو كلامه وجعلهم كلام الله شيئًا لا حقيقة له وغير ذلك» [مجموع الفتاوىٰ(٦/ ٥٧٤)].

ومن ذلك ما نقله الخلال عن الأئمة في المرجئة فقال:«وأخبرنا أبوبكر، قال: حدثنا أبو عبدالله، قال: حدثنا حجاج، قال: سمعت شريكًا، وذكر المرجئة، فقال: هم أخبث قوم، وحسبك بالرافضة خبثًا،ولكن المرجئة يكذبون علىٰ الله.

أخبرني عبد الملك الميموني، قال: حدثنا ابن حنبل، وأخبرنا عبدالله بن أحمد،قال: حدثني أبي هذا الحديث، قال: ولكن المرجئة يكذبون الله عزوجل»[السنة (٤/ ٤١)].

٦ - وهكذا تتفاوت البدع بحسب دوامها وعدمه، فالفتن التي لا تدوم تكون أقل شرًّا وخطرًا من البدع التي تدوم، مع أنه تكون الفتنة التي لا تدوم هي أعظم شرًّا وخطرًا من التي تدوم من حيث حقيقتها فتكون شرا من هذه الجهة، وتكون تلك أعظم شرًّا وخطرًا من حيث دوامها وبقائها في إضلال الناس وإبعادهم عن دين الله تعالىٰ.

قال الإسفراييني - رَحِمَهُ اللَّهُ:- «منهم الباطنية وفتنتهم علىٰ المسلمين شر من فتنة الدجال فإن فتنة الدجال إنما تدوم أربعين يومًا وفتنة هؤلاء ظهرت أيام المأمون وهي قائمة بعد» [التبصير في الدين (١/ ١٤٠)].

إلىٰ غير ذلك من الوجوه الكثيرة التي تدفع التعارض والاضطراب في أقوال وأحكام الشيخ ربيع، والتي تدل علىٰ علم واطلاع ورسوخ الشيخ ربيع حفظه الله تعالىٰ.

أسأل الله تعالىٰ أن يثبتنا علىٰ منهج أهل السنة والجماعة وأن يميتنا علىٰ ذلك، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو عمر

عبد الباسط المشهداني

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

فهرست الموضوعات

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

فهرست الموضوعات

المقدمة ٥

قول ابن أبي العز الحنفي في مقدمته لشرح العقيدة الطحاوية ٥

قول الشيخ الألباني رحمه الله في شريط بدعة الموازنات ١٠

قول الذهبي في الكاشف ١٧

قول ابن حجر في التقريب ١٨

قول الشيخ الألباني ٢٠

قول الشافعي في تعليقه على الأحاديث ..... ٢٦ ، ٢٧

قول ابن شاهين ٢٨

قول ابن حبان ٢٨

قول ابن حجر في لسان الميزان عن أقوال الأئمة في ترجمة إبراهيم بن إسماعيل بن علية ٣٤

قول الذهبي في ترجمة إبراهيم بن الأسود ٣٥

ذكر الذهبي في ترجمة إبراهيم بن باب القصار أنه واهٍ..... ٣٥
ذكر الذهبي في ترجمة إبراهيم بن حميد الدينوري أنه أتى بخبر باطل ٣٦
ذكر في ترجمة إبراهيم بن الخضر الدمشقي ٣٦
ذكر في ترجمة إبراهيم بن سليمان أنه وضع حديثًا ٣٧
ماذا ينقمون من الشيخ ربيع؟ ٤٧
الوجوه المتعددة على من ادعى تجريح الشيخ ربيع للسلفيين ٥٦
تعليق الشيخ ابن باز ٦٤
فتوى للشيخ ابن عثيمين عن الاستماع لأشرطة الشيخ ربيع بن هادي ٦٥
دفع اتهام الشيخ ربيع بأن أحكامه في الجرح والتعديل مبنية على المبالغة والتهويل ٦٧
ملاحظات للكاتب على أسلوب الشيخ ربيع في الجرح ٦٩
قول ابن حجر في الجرح ومراتبه ٧١

قول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه عن الجهمية ٧٨
قول الشيخ الألباني في الثناء على الشيخ ربيع ٨١
قول الشيخ مقبل عليه ٩١

❁❁❁

https://t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah

تم بحمد الله

دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

عين شمس - القاهرة - جمهورية مصر العربية

جوال: 00201007610099 - 00201140110099

البريد الإلكتروني

Dar_sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_sabilelmomnen@hotmail.com